دور الشّيخ المجّاوي عبد القادر

و كتابه " إرشاد المتعلّمين " في الصّمود الفكري بالجزا

بقلم
سوميّة أولمان

دور
الشّيخ المجّاوي عبدالقادر
و كتابه " إرشاد المتعلّمين " في الصّمود الفكري بالجزائر

« نرى الآن أن الحرف المهمّة و أرباح التّجارة
و محصولات الزّراعة استبدّ بها أهل الجدّ
و بقي المسلم يستر عجزه و كسله بالقضاء و القدر»
عبدالقادر المجّاوي

بقلم سوميّة أولمان



تمّ طبع هذا الكتاب من طرف
الديوان الوطني
لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة

ردمك978-9947-0-3778-2
الإيداع القانوني: 2013-3326

تصدير

بقلم الأستاذ محمّد الصالح الصّديق

في

الشّيخ عبـد القـادر المجّـاوي

طلبت منّي حفيدة العلّامة المجّاوي، الدّكتورة السّيّدة سُميّة اولمان الّتي تولي هي واختها السّيّدة حبيبة الكمال إهتماما كبيرا لتراث جدّهما، وتحاولان، جهد طاقتهما، إحياءه وبعثه لما له من الأهمّيّة والفعالية في إثراء الثّقافة العربية الإسلامية في الجزائر بالخصوص، وفي كلّ بلد يحثّ خطاه إلى غد مضيء مشرق بصفة عامّة .

طلبت منّي أن اكتب كلمة وجيزة مقتضبة تضيفها إلى عمل ثقافيّ أنجزته في جدّها وتعتزم تقديمه إلى المطبعة. لم أرى وراء هذا الطّلب الّذي يدل على حسن ظنّها إلّا أن ألبّي رغبتها بهذه الكلمة الخاطفة الّتي أعدّها تشريفا لي لما أعرفه عنه من سعة الأفق في مختلف العلوم العقليّـة والنّـقليّـة. وجلال يثْـلج الصّدر بالرّضى ويغمر النّفس بالسّكينة .

إنّ الشّيخ المجّـاوي عالم إجتمعت له خلال بوّأته مكانة مرموقة بين أعلام المغرب العربي المشاهير: نفس عفيفة، وهمّة عالية، ومواهبه فطرية سامية، ومدارك فكريّة واسعة. وجهاد في سبيل العلم والمعرفة ومن أجل صنع الرّجال، وبناء التّاريخ حافل بالنّزاهة والإخلاص، قائم على محاولة جعل الدّين والدّنيا وحدة لا تتجـزّأ. فكان ينفع بعلمه، ويهدي برُشده، ويدلّ بسَمْته، ويقاوم الانحرافات والأباطيل بسلوكه. فإذا جالسْتَه، غمدك منه جمال وجلال، وجعلك تدرك بوعيك بين قوّة تسيطر بفعلها وقوّة تسيطر بروح الله .

إنّ الشّيخ المجّاوي قد عاش حياته معلّما ماهرا، يربّي النّفوس ويرتقي بها في معاريج الكمال الممكن في هذا الوجود الأرضي.

وعاش مفكّرا، واضح الرّؤية والدّلالة ، هاديا شديد المنطق، واضح المنهج، كاتبا مُشرق البيان ، جزْل الأسلوب .

فآثاره العلميّة من النّمط العالي صياغة وفحوى، وإشارةً ورمزًا وتعليلا وتحليلا.

من طلبته المشاهير، العالم الكبير الشّيخ الرّزقي الشّرفاوي، الّذي درس عليه في الجزائر العاصمة، ثمّ ارتحل إلى الأزهر، فنال فيه أعلى شهاداته، ثمّ تولّى التّدريس فيه طوال سبعة عشر سنة . ثمّ عاد إلى مسقط رأسه بمنطقة القبائل فدرستُ عليه. و كان لا يفتأ بالتّحدّث عن أستاذه المجّاوي ، ويفيض بالتّـنويه بمواهبه الفطرية، وعلمه الواسع، ممّا بوّأه في نفسي مكانة متميّزة.

وحدا بي إلى الكتابة عنه في جزء من اجزاء كتابي « أعلام من المغرب العربي» الّذي صدر منذ بضعة أعوام .

إن الأمل وطيد هو أن تُتاح لنا فرصة أخرى للحديث عن هذا الرّجل العظيم الّذي يُعدّ الحديث عنه إثمارا للوقت و إثراءً للكاتب.

وإنّه لمِمّـا يُثلج الصّدر، أن تكون هذه الكاتبة، حفيدة الشّيخ المجّـاوي الدّكتـورة سُميّـة أولمـان، ثمرة يانعة يثمرهـا غصن دوحة المجّـاوي المبـاركـة .

فهنيئـا للشّيخ على هذه الثّمرة الطّيبة الواعــدة . و هنيئا لهذه الثّمرة على ان كانت من هذه الدّوحـــة السّــامية .

محمد الصّالح الصّدّيق

الجزائر، 10 أفريل 2013 م

مقدمة

في أواخر شهر رجب من سنة 1294هـ ، أي ما يعادل منتصف شهر جويليا من سنة 1877 م، تمّ في العاصمة المصريّة القاهرة طبع كتيّب باللّغة العربيّة. هذا الكتيّب ألّفه عالم جزائري، لا يتجاوز عمره 29 سنة، كان آنذاك مقيما بقسنطينة (في شرق القطر الجزائري) أثناء أشدّ المراحل الاستعماريّة الفرنسيّة في الجزائر. تلك المرحلة الحالكة الّتي كانت تتميّز بالعنف الاستبدادي اتّجاه السّكّان الأصليّين للبلاد إلى جانب عنف معنوي، بلغ أقصى درجاته، كان يرمي إلى نفي الهويّة العربيّة المُسلمة وتدمير القيَم والسّلاليم المعياريّة الّتي كانت تشكّل أسس هيكل المجتمع المحلّي قصْد إبادة الشّخص الجزائري وما يحمله من أصول ومن خصوصيات ثقافيّة و حضاريّة وما يتضمّنه من طاقات فكريّة و علميّة.

هذا الكتيّب الّذي يحتوي عشرين صفحة سبّب ضجّة عظيمة في الأوساط القسنطينيّة[1] عندما ظهر في الجزائر بعد الطّبعة. فتساءلنا عن أسباب هذه الرّدود وعن العوامل الّتي كان من شأنها أن تفسّر بعض التّصرّفات اتّجاه مدرّس بسيط يحثّ إخوانه على التّعلّم وعلى تغيير طرقهم التّعليميّة. فلتفادي الأخطاء النّاجمة عن تجريد مقولة ما من الظّرف المكاني والزّماني الّذي قيلت فيه، اضطرّ بنا الحال إلى الأخذ بعين الاعتبار الوضعية الاجتماعية والسّياسية والقانونيّة الّتي كانت سائدة طور ظهور هذا الكتاب.

ومن هذا المنطلق ، تمكّننا من فهم المنهج الّذي تتبّعه المؤلّف و كلّ ما كان يرمز إليه محتوى هذا النّص القيّم الّذي ترك الإدارة الفرنسيّة المستعمِرة ترى فيه خطرا اتّجاه سياستها التّعليميّة الخاصّة بالمسلمين والمُتّخذَة في الجزائر منذ أكثر من أربعين سنة أي ما يناسب جيلا كاملا و ما أكثر.

1- أنظر الملاحق في آخر الكتاب

لا يمكن استيعاب أهمّيّة وصدى هذا التأليف إن لم ندمجه في الظّرف التّـاريخي الّذي ظهر فيه . لا يمكـن حصر معنى و أبعـاد هذا الكتيّب إذا جرّدنـاه من التّـأثـــرات النّـاجمة عن المحيط الّذي بناه و خلّفه الاستعمـار والتّـفـاعلات الّتي خلقهـا المشروع الاستعمـاري في الجزائـر.

فعلا، قد يُمكن اعتبـار «إرشاد المتعلّمين» صرخة في فضاء صـامتٍ؛ صرخة عـالِم مُسلم جزائري وطنيٍّ ، يخـاطب ضمير طبقـة المتعلّميـن من إخوانه الأنديجـان، الّذين كـانت تُـنْـتِـجهـا الإدارة الفرنسية لاستعمـالهـا في إطار خطّة دقيقة في خدمتهـا ، و هي تهدف إلى السّيطرة التّـامّة على الهيكل الأساسي للمجتمع المحلّي عن طريق السّيطرة والتّحكّم التّام على موظّفي المؤسّسات الدّينيّـة الإسلاميّة (المسـاجد) والمؤسّسـات الشرعيّـة (المحكمـات). كان الشّيخ المجّـاوي يقصد بذلك تَـفطين هؤلاء المتعلّمين لإخراجهم من الهيمنة الاستعمـاريّة السّـائدة وإنقـادهم من «التّخذير» الّذي كـان يعـمّ عليهم بفضل تدابير هـاالغـادرة.

عملنا في هذا الكتاب

شرعنا في هذا العمل رغم فقر رصيدنا المعارفي في الميدان، ولو أنّنا لسنا جديرين بمخاطبة عالم من طراز الشّيخ المجّاوي، معتمدين على نسخة أصليّة من الكتيب الّذي صدر سنة 1877 م بالقاهرة، وهي في حالة جيّدة من الحفاظ .

- أتينا بترجمة مُختصرة للمؤلّف ، حتّى يتمكّن القارئ من التّعرّف على شخصيّته و بعض صفاته ، ثمّ قدّمنا صورة عن الظّروف التّاريخيّة والسّياسية الخاصّة الّتي أحاطت ظهور هذا الكتيب الّذي يهمّنا والّتي تُبرهن على وفائه بالتزاماته اتّجاه قومه والمبادئ الّتي رُسّخت فيه .

- بعد اطّلاعنا على النّص الأصلي لـ«إرشاد المتعلّمين»، قمنا بفصل الأجزاء والفقرات حتّى تسهل قراءة النّص وفهمه، كما أنّنا أدخلنا تنقيط حسب فهمنا للنّص.

- أدرجنا ، عندما بَدَت لنا الضّرورة ، بعض التّشكيل لتفادي الإلتباس عند قراءة المفردات .

- بعد هذا، أشرنا إلى السورات الّتي لجأ إليها المؤلّف لتعزيز أفكاره و ترخيسها ضمن نمط تفكيري مُؤصّل ، كما أنّنا قد أتينا بجملة من الملاحظات الهامشية رأيناها مفيدة لإبراز غنى النّص وأبعاده ولإظهار بعض المراجع التي استعملها المؤلّف .

- و أخيرا ، جئنا بمجموعة من الملاحق - عثرنا على البعض منها في الجرائد القديمة - لها علاقة مباشرة مع النّص، وهي تصوّر لنا بعض الصّعاب والأخطار الّتي واجهها المؤلّف، وهي تقدّم بعض التّفاصيل المتعلّقة بالنّص.

فأمنيتنا أن نكون قد أتينا بشيئ يفيد من يهتمّ بمنتوج الشّيخ العلّامة عبد القادر المجّاوي، ويمكّنه من الوصول إلى التّمتّع بأضواء وإرشادات هذا الأستاذ الأريب .

عبدالقادر بن عبدالله المجّاوي : نافذة على حياته

يُعتبر الشّيخ عبد القادر بن عبدالله المجّاوي من علماء نهاية القرن التّاسع عشر/ بداية القرن العشرين الّذين تركوا بصمة عميقة في محيطهم الاجتماعي والفكري و السّياسي . فلا يمكن للتّاريخ أن يتناسى شخصًا كهذا لأنّ كُتُبه ومنتوجه العلمي والمعارفي الغزير كوّنا قدوة وقاعدة منهجيّة وفكريّة للعديد من الفقهاء و العلماء الّذين جاءوا من بعده[2] . فقد تمكّن معظم أتباعه (من بينهم المولود بن الموهوب و إبراهيم بن الحاج محمد الطّفيّش وحمدان الونّيسي إلخ...) وبفضل دروسه وجهاده العلمي ، من تجسيد خطّتهم الفكريّة العربيّة الإسلاميّة الوطنيّة الجزائريّة ، وتكوين أجيال من العلماء الوطنيّين النّجباء، الأجلاّء ، أمثال الإمام عبد الحميد بن باديس (الّذي تتلمذ على أيدي عمّه و مجموعة من العلماء الجزائريّين كحمدان الونيسي قبل أن يتّجه إلى جامع الزّيتونة بتونس) والبشير الإبراهيمي ومحمّد سعيد ابن زكري الّذي صار فيما بعد مدير مدرسة العليا الثّعالبيّة .

ينتمي الشّيخ العلاّمة عبد القادر المجّاوي الى سلسلة من العلماء و الفقهاء الوطنيّين الّذين ساهموا بصفة حادّة في الحفاظ على الهويّة والشّخصيّة الجزائريّة إثر فترة مأساويّة جد حالكة من تاريخ شمال إفريقيا.

فكان يوميّا، يجاهد بالقلم لتأدية واجبا مقدسا في وجه الاستعمار الفرنسي الذي كان يرمي إلى تشويه صورة الإسلام وتنصير الشّعب الجزائري للقضاء على أقوى مكوّنات الشّخصيّة الجزائريّة. هذا، للتّمكّن من الهيمنة والسّيطرة التّامة على الأهالي.

2- سعدالله أبوالقاسم : « الحركة الوطنيّة الجزائرية» ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص 471 ، 580 ، 595

من هو الشّيخ عبدالقادر المجّاوي ؟

هو عالِم ذو الأوجه المتعددّة ، مَكّنته من أن تكون له عدّة تسميات حسب نسبه ، أو الأماكن التي مكث فيها، أو منتوجه الفكري و مؤلّفاته، أو شخصيّته إلخ. هو:

- عبدالقادر بن عبدالله المجّاوي ، نسبة الى ابيه . فهذا هو الإمضاء الّذي نجده في جملة كتبه المؤلّفة ، المطبوعة منها و المخطوطة .

- الشّيخ، الإمام، الأستاذ، المدرّس عبدالقادر المجّاوي بالنّسبة الى مهامّه المختلفة و المناصب التي اِلتحق بها.

- العلاّمة ، البحر ، الفقيه، المبجّل، شيخ الجماعة[3]، نسبة الى شساعة رصيده المعارفي والفكري و تقديرا للدّور الّذي لعبه في التعليم و في تكوين العلماء في مجتمعه و إلى جانب معاصريه[4] .

- عبدالقادر بن عبدالله بن محمّد بن عبدالكريم الجليلي الإدريسي الحسني القريشي ، نسبة الى اصله الشّريف . فنجد هذا الإمضاء في بعض كتبه و مخطوطاته ، كما أننا نجد الإشارة إلى هذا النّسب الشّريف في كتاب القاضي الشّيخ عبد الله حشلاف[5] .

ظلّ محمّد (1793 م – 1850 م) ، جدّ عبد القادرالمجّاوي، يدرّس في جامعة القرويّين بالمغرب عدّة سنوات[6]. فقد ساهم في تكوين عدد كبير من العلماء والفقهاء مثل محمّد العلوي (قاضي مدينة فاس) والشّيخ جعفر الكّتاني. « ... كانت له اليد الطّولى في جميع العلوم، ومهما

3- سعدالله أبو القاسم : أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر « عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م ، ص 163

4- بوكوشة ح. : «شيخ الجماعة عبدالقادر المجّاوي» ، مجلّة الثّقافة»، رقم 10 ، 1972، ص 7-14

5- كتاب «سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرّسول عليه الصّلاة و السّلام» . الشّيخ سيدي عبد الله بن محمّد بن الشّرف بن سيدي علي حشلاف . 1927 م .

6- أبو القاسم الحفناوي : « تعريف الخلف برجال السّلف «، موفما للنّشر ، الجزائر ، 1991 م.

أخذ في تدريس فنّ، حسبته لا يعرف سواه، وأنّه أفنى عمره فيه، وما ذلك إلّا لتضلّعه و اطّلاعه . يأتيه الأشياخ فيما يستشكلونه من الغوامض فيزيل ما خالج قلوبهم من العوارض...»[7]؛ كما انه كوّن بعض المدرّسين الّذين ساهموا فيما بعد، في تعليم حفيده عبدالقادر. عمل كذلك (وقبل ابنه عبدالله) كقاضٍ في مدينة تلمسان سنوات عديدة في منتصف القرن التّاسع عشر، أي في المرحلة الّتي تمثّل بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر و سقوط مدينة الجزائر .

- كان عبد الله المجّاوي ، أب عبد القادر، قاضيًا في مدينة تلمسان[8]، كما أنّه درّس في نفس المدينة، مما جعل عدد كبير من علماء الحاضرة وضواحيها يتعلّمون على يده ، خاصة أنّه كان يشتهر بالاستقامة و الصّدق التّام. غير أنّه اضطرّ بعد استلام الأمير عبدالقادر للجيش الفرنسي (في شهر ديسمبر من عام 1847 م) ، وبعد ميلاد ابنه عبدالقادر (عام 1848 م) أن يغادر مدينة تلمسان وحتّى أرض الجزائر، كالعديد من العلماء الجزائريّين الّذين لم يتقبّلوا الخضوع للسّلطة الجديدة و التّعامل مع الاحتلال . فعلًا ، فإنّ الإدارة الفرنسيّة الّتي كانت واعية بأهميّة دور القضاة في البنية الاجتماعيّة في الجزائر وانسجام و تماسك شعبها المسلم ، اتّخذت بصفة عاجلة وصارمة أن تحدّ من مجال العمل لرجال القضاء والقانون الشّرعي الإسلامي . ذلك إلى أن صار القاضي المسلم لا يهتمّ سوى بالشّؤون العائليّة و بعض عقود الملكية الى جانب بعض القضايا التّافهة .

اتّجه عبد الله المجّاوي مع أسرته نحو الغرب، بالضّبط ، نحو مدينة فاس حيث كانت الدّيناميكيّة العلميّة والفكريّة – تحت سلطة حاكم مسلم - تتعدّى حدود المغرب و حيث كان الإسلام لا يخضع إلى إدارة أجنبيّة

7- الحفناوي ، نفس المرجع ، ص 295
8- جريدة الفاروق، عدد 80 ، 06 أكتوبر 1914 م.

مسيحيّـة مثلمـا كان هو الحـال في القطـر الجزائـري . فشـرع (على خـطوات أبيه و جدّه الأوّل محمّد ، و الثّاني عبـدالكـريم) في التّـدريس بجـامعة القرويّيـن حيث كان اللّقب «المجّـاوي» معروفا و محترمـا .

بعد مدّة ، نُصّب قـاضٍ بمدينة « طنجة» المغربيّة ، فمكث بها مع أسرته حتّى وفاته .

- أمّـا أمّ عبـدالقـادر المجّـاوي ، فهي كذلك تنتمي الى عائلة ذات المكـانة العـاليـة والنّـفـوذ المعتبر في غـرب الجـزائر، اشتهرت بتمسّكهـا الشّـديد بالدّين و العقيدة ، فكانت تُدعى « عـائـشـة بنت الحاج السنوسي»؛ وهذه العائلة خلّفت من أكبر العلماء و الفقهاء المسلمين في شمال افريقيـا وسمعتهـا في هذه النّاحية من العالم كانت جدّ مُعتبرة. رافـقـت هذه الأمّ ابنهـا في التربيّة و حرصت على أن يتـابع المنهج العـائلي المرتـكـز على الدّيـن و أصوله و التّوجّه نحو العلم المفيد و منظوره . فـكـرّست حيـاتهـا لتـأدية هذه المهمّة ، و النّتيجة كـانت موجبـة .

عبد القـــادر المجّـــاوي
مسيرة حيـــاة

الفترة التّلمسانيّة : الطّفولة

ولد عبد القـادر المجّـاوي بحـاضرة تلمسـان سنة 1848م[9]. تـرعـرع في هذه المدينة بين أحضان ابيه عبـدالله وجدّه محمّـد بن عبد الكـريم اللّذان علّمـاه القرآن و مبادئ اللّغة و التّعليم العـام. غير أنّ هذا الوضع لم يدم طويلا ، و مع الهجرة المُجبرة على أسرته بسبب الاستعمـار الفرنسي، غـادر عبد الله المجّـاوي و معه ابنه عبدالقـادر أرض الجزائر الّتي كـانت تواجه معارك داميـة و احتلالا عنيفـا. فبسبب قوانين احتـلاليّـة متتـالية، كان الجزائريون يفقدون تدريجيا أراضيهم و ممتلكاتهم، بل كـانوا يفقدون معظم المكـوّنات الرّمزيّـة لهويّتهم. فبينمـا كانوا، هم ، يُطرَدون من بيوتهم و أراضي أجدادهم الخصبة بدون أيّـة شفـقـة ويُضطرّون إلى الرّحيل و المكوث في مناطق نـائية على أراضٍ قاحلة، كان المعمّرون يأتون هذه البيوت من ظهورها أفواجا أفواجا ويستّـولون على خيرات بلد كـان المشروع الاستعمـاري يـراهـا فـرنسيّـة مسيحيّـة إلى الأبـد.

هـذه هي الأوضاع الّتي جعلت أسـرة المجّـاوي تلتجئ في أقصى الغرب إلى أن استقرّت في طنجة سنين طويلة .

الفترة المغـاربيّة : المراهقة ، التّعليم ، التّكوين :

في المغرب، واصل عبد القـادر تعليمه في مدينتي طنجة (حيث كـان أبوه قاضيا) ثم طيطوان حيث كـانت الأوضاع الاجتماعية أكثر ملائـمة مع تلك الّتي كان يريدها عبـدالله محيطـا لتكوين و نُموّ ابنه عبدالقـادر.

9- نفس السّنة الّتي عرفت فيها العاصمة باريس سلسلة من الثّورات الشّعبيّة الدّامية الّتي خلّفت آلاف القتلى و الأسرى (نُفيَ عدد مُعتبر منهم إلى الجزائر)، و الّتي أدّت إلى إنشاء الجمهوريّة الفرنسيّة الثّانية .

بعد ذلك، اتّصل هذا الأخير بجامعة القرويّين الّتي كانت منارة للعلم في العالم العربي الإسلامي . فتمكّن من الاحتكاك بنخبة من العلماء والمدرّسين الأفاضل، من بينهم أولئك الّذين تعلّموا على يد جدّه محمّد بن عبدالكريم كجعفر الكتّاني . وبفضل جهوده و صرامته، و بفضل مُدرّسيه النّجباء ، تمكّن عبدالقادر المجّاوي من الحصول على الإجازة، وهي الشّهادة الّتي تسمح لطالب أن يشرع بدوره في التّدريس. بعد ذلك ، قرّر أن يعود إلى الجزائر سنة 1869 م .

الفَترة القسنطينية : التدريس ، الإمامة ، الإصلاح .

رجع عبدالقادر المجّاوي الى الجزائر عام 1869 م[10]. حينئذ ، رأى نفسه مرغما أن يُقيم في شرق البلاد ، بعيدا عن مسقط رأسه تلمسان . فاختار مدينة قسنطينة الّتي كانت تشتهر بحيويّتها الثّقافيّة العربيّة المسلمة الأصيلة، تلك المدينة الّتي تميّزت بصمودها الجريء ضدّ العدوان الاستعماري الفرنسي . فسُرْعان ما قام عبدالقادر المجّاوي بملاحظةٍ جدّ مؤلمةٍ . خاصة أنّه عاد إلى الجزائر بعد أن عرف هذا القطر – زيادة على شراسة الاستعمار و المجازر الّتي قام بها - سلسلة من الكوارث الطّبيعيّة تمثّلت في : سنوات من الجفاف، هجوم الجراد، حرائق، مجاعات شديدة (زادت تفاقما بسبب الاضطرابات الاجتماعيّة و السّياسيّة الّتي عرفتها فرنسا في نفس الفترة) ، أوبئة متتالية ، إلخ .

استنتاجه كان مأساوياً : إنّ الجزائريّين مهدّدون في وُجودهم وفي بقائهم. صار دينهم وعروبتهم عُرضة للتّبشيع وهم يواجهون صعوبات كبيرة للبقاء سواء كان من النّاحية الكمّية (العددية) أو من ناحية النّوعيّة (الهوية والشّخصية) .

10- جريدة «الفاروق» ، رقم 81. أكتوبر 1914 م.

فكل يوم، يرى الجزائريون قوانين جديدة يفرضها عليهم المستعمر ، في لغة جديدة و غريبة لايتحكّمون فيها، بل لا يعرفونها . قوانين من شأنها أن تمكّن للمستعمرين التّوغّل، بطريقة « قـانونية»، في وطن الجـزائريّين، قوانين استبداديّة، ترمي إلى تدمير أملاك الجزائريين، سواء كانت مادّيّة أو معنويّة/رمزيّة .

فعـلا ، فـأوّل ما حطّم الاستعمـار هي تلك الشّبكة الهـائلـة من المسـاجد والمدارس[11] التي كـانت تمكّن للجزائريين التّعليم و ممـارسة دينهم الحنيف. تلك الشّبكة من المؤسّسات الدّينية و التعليميّة التي كانت تضمن إدامـة أعـزّ وأغـلى شيء لـدى الجـزائريّين : دينهم ولغتهم، والّتي صارت عُرضة لأشدّ عمليّات التّشويه والتّخريب . ففي هذا الجوّ المليء بالعنف و التدمير المادّي و المعنوي، في هذا المُحيط المشحون بالإذلال والاحْتِقار المُهيْمنَيْن ، كان الجزائريون في حاجة ماسّة إلى إرشادات وتوجيهات من شأنها أن تجعلهم يتفطّنون إلى أهمّية إبقاء أصالتهم وصمودهم أمام العـدوّ.

استقـرّ المدرّس الشّاب عبدالقـادر المجّـاوي في « مدينة الجسـور » قسنطينة في حلول العقد الخـامس من الوجود الفرنسي في الجـزائر . وهذا يعني أنّ في ذلك الزّمـان ، كـان هناك جيل كامل من الجزائريّين لم يعرفوا سـوى السّيطرة الاستعمـاريّة الشّرسـة كنمط إداري.

لم يكن عبدالقـادر يملك شيئًا في قسنطينة و لم يكن له مصدر قوت ، فشرع في التّدريس في كتـاتيب صغيرة في أحيـاء المسلمين . و سرعـان مـا بدأت نوعيـة تدريسـه تجلب له شهـرة جعلت كلمته مسموعة وخطبتـه متبوعـة . فتمكّن المدرّس عبدالقـادر المجّـاوي من جلب ثقـة

11- ع. فيلالي ، م الهادي لعروق : « مدينة قسنطينة . دراسة التّطوّر التّاريخي و البيئة الطّبيعية» دار البعث للنّشر ، 1984 م. ص 109

أهل قسنطينة ، خاصّة أنّ الاستعمار الّذي كـان يحكم منذ عشرات السّنين ، جعل المستوى الفكـري و العلمي للأهـالي يتراجع بصفة ملموسة ؛ فاللّغة الفرنسية الّتي صارت لغة القوانين و الحكّام بَـقِـيَت غريبة عند المسلمين بينمـا اللّغة العربية اختفت في زقـاق المنـاورات و الخطط الاستعمـارية . فكـأنّ هنـاك عالمان متجـاوران و متوازيـان ، يتعـايشـان طبقا لقـانون الغـاب : القـويّ يقصع الضّعيف. فهناك عالَم الأهلي ، برابر وعرب ، ينتمون كلّهم إلى الأمّة المسلمة ، إلى جانب بعض اليهود ، و يجـاورهم عـــالَم المستـعمِريـن ، جـلّهم فرنسيّيـن و مـعهم مـالطيّيـن و يونـانـيّيـن و إسبـان ...، كلّهم مسيحيّيـن ، يهدفون إلى الانقراض التّـامّ للأهالي كوحدة متمـاسكـة للتّمكـن من تحويل أرض الجزائر من مسلمة إلى مسيحيّة ، واحتكار كنوزها و مواردهـا الـزّاخـرة .

في هذه الظّروف المفجعة ، قـرّر الشّيخ عبدالقـادر المجّـاوي أن يضع نفســه و علمه في خدمة إخـوانه المسلميـن المضطهَـديـن ، ليُـوَضّح لهم دينهم و ليبسّـط لهم قواعـد اللّغة العربيّة[12]، حيث تحوّلت هذه اللّغة في تلك الفترة إلى عبارة عن مجموعة من الكلمات المعوجّة و العبارات الخاطئة. لهـذا الغرض ، كان ينشر كتبـا في مختلف العلوم الّتي كان يراهـا تفيـد طلبتـه و إخوانه[13] .

كفـاحه هذا سوف يدوم أكثـر من أربعين سنـة[14] .

12- أ. شاربونو : بوليبليون، المجلّة البيبليوغرافية العالميّة ، 1881 ، ص 451 : «... و في هذا الوضع ، حيث يرى التّشاؤم ، بدأ عبدالقادر المجّاوي ، و هو حاليّا مدرّس في مدرسة قسنطينة ، في تحسين التّعليم ، .... و ما يضيف إلى قيمة الأستاذ ، هو أنّه تمكّن من وضع في متناول الطّلبة العبارات التّقنيّة لقواعد اللّغة قصد تحضير هؤلاء الطّلبة إلى دراسة الإنشاء...»
http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k424304t.r=medjaoui.langFR

13- سعدالله أبو القاسم : « الحركة الوطنيّة الجزائرية « ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، الجزء الوّل ، ص 383

14- : أنظر مقال محمّد علي دبوزفي كتابه : «نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة»، المطبعة العربية ، غرداية ، 1971 ، ص 82 - 108.

سرعـان ما تفطّنت الإدارة الفرنسيّة لخطـر جهـاده وحـاولت بشتّى الطّرق أن تقـلّل من فعّـاليتـه و من مجـال تدريسـه. وهكـذا ، دعت الإدارة الإستعمـاريـة الشّيخ المجّـاوي للتدريس وفـقًـا للبرامج الرّسميّة التي خطّطتهـا للأهـالي ، فتمّ تنصيبه مدرّسا في مدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة إبتداءً من سنة 1873 م ، كما أنه عُيّن إمـامًـا بجامع سيدي الأخضر[15] ثمّ بالجامع الكبير[16] حيث ظلّ يؤمّم و يخطب أو يدرّس و يعلّم إلى غايه عام 1898 م .

كان عبد القـادر المجّـاوي منذ وصوله إلى مدينة الجسور، يخصّص معظم وقته لتعليم الطّلبة الّـذين كـانوا يُـقْـدمون على المدرسة القسنطينيّـة الّتي عُيّـن فيهـا . كـان يـرافقهم في تكوينهم بكـلّ الطّرق الّتي هي في حيّزه ، فكـان بعد الدّرس يغتنم كل الفرص لفتح بـاب المنـاقشة و الجـدال معهم رغم أنّ كان معظمهم يخضع للنّظـام الدّاخلي وبالتّـالي لمراقبةٍ مستمـرّة من قبل الإدارة الفرنسيّـة ؛ كـان الأستـاذ يلقي خطبـا في مسـاجد الأحيـاء الشّعبيّـة يلقيهـا على هؤلاء الّذين لم يُحظـوا بالالتحـاق بالمدرسـة . و زيـادة على ذلك ، كـان يمضي سـاعـات بل أيّام مُـنهمكا و منطويا على أوراق يـؤلف كُـتبـا من شـأنهـا أن تفيد الطّلبة وتساعدهم في دروسهم . و اهتمـامه بتلامذتـه ظـاهر في معظم مؤلفـاته حيث يبدأ في الكتابة ، بعد الحمدلة و البسملة ، بعبـارات تشهد على ذلك مثل تلك الّتي نجدها في الصّفحة الأولى من مخطوط له[17] : « ...و بعد فإنه قد طلب مني بعض تلامذتنـا المجتهدين أن أكتب فريدة مبنيّة للقضـايا وأحكامهـا على سبيل الاختصـار من غير إطنـاب» و كذلك في أوّل كتابه كشف اللّثـام على شواهد قطر ابن هشـام حيث يكتب : «... قد سألني

15- قينة ع. : « شخصيذات جزائرية « ، دار البعث ، الجزائر ، 1983 ، ص 9 - 17.
16- كذلك ، تولّى الشّيخ صالح بن مهنّا الإمامة في هذا الجامع عدّة سنوات في أواخر القرن التّاسع عشر
17- و هو مخطوط موجود حاليا في مكتبة وزارة الشّؤون الدّينية و الأوقاف بالجزائر

بعض الفضلاء المجتهدين أن أضع شرحـا مختصرا على شواهد قطر الندى نـافعـا للمبتدئين....»

كلّ هذه الجهود أنشـأت بين الأستـاذ و تلاميذه علاقـة وطيدة مكّنتـه أن يكتسب شهرة تجـاوزت حدود القطر الجزائـري كمـا أنّ هذه العلاقة مع الطّلبة سـاعدتـه على أن يتجاوز الصّعاب الّتي وقفت أمامه في طريقه لأداء مهمّته .

في سبتمبر 1886 م ، نشر الرّئيس الفرنسي ‹جول قْرِيفِي› مرسوماً جديداً يضع الأهالي الّذين لا يتمتّعون بحقوق المواطنة الفرنسيّة ، تحت القضاء الفرنسي فيما يخصّ القضايـا الجنـائيّـة . حسب هذا المرسوم ، فإن إنشـاء أو غلق المحـاكم الشّرعيّة يخضع لقرار حافظ الأختـام ، كذا فيما يخصّ تسمية أو تنحي القضاة و أعوانهم ؛ و حتى محتـوى برامج امتحـانـاتهم . فرأى الشّيخ المجّـــاوي في هذا المرسوم ضربة جديدة خطيرة للأهـالي الّذين لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم أو ممتلكـاتهم دون أن يُتّهموا بجرائم من شأنها أن ترمي بهم بين مخالب العدالة الاستعمارية اللّئيمة الّتي تحكم عليهم بقسوة مُبهرة و تطبّق مبدأ المسؤولية الجماعية على الجزائريين.

فردّ فعل مدرّسنا الشّريف كـان ، مع نخبة من الأعيـان القسنطينيّـين، إيضاع قُرابة 2000 توقيعا على عريضة تندّد بهذا المنشـور الرّئـاسي[18]. فهذه العملية زادت من شهرتـه و شعبيّـته مما جعل الإدارة الفرنسيّـة تراقبـه أكثـر فأكثر. فواصل في النّهـار تدريسه و عمله الرّسمي تحت رقـابة الإدارة الفرنسية ، و في المساء ، كان يتفـرّغ لإلقـاء دروس تخضع لمراقبة المستعمر، دروس تناسب أهدافه النّضالية تتمحور حول صيانة كرامة و هوية الجزائريين والرّفض التّام للخضوع للإستعمار.

18- Lacheraf M. :« L'Algérie, Nation et Société », éd Casbah, Alger, 2004, p 162

الفترة العاصميّة: تدريس ، توظيف ، وتكريم.

في عام 1898 م طُلِب من الشّيخ الإمام عبد القادر المجّاوي أن يغادر مدينته الحبيبة قسنطينة بحجّة إرتقاءه إلى منصب أستاذ في الفقه في القسم العالي بمدرسة الجزائر العاصمة فعُوِّض في مدرسة قسنطينة بعالِم مُسلم شابّ في التّاسعة و العشرين من عمره ألا و هو العلاّمة محمّد ابن شنب.

في 17 أكتوبر 1904م ، دشّن الحاكم (جونارت) إلى جانب السيّد (شوميي) الوزير الفرنسي للتّعليم العمومي، مدرسة الثّعالبيّة الواقعة إلى جانب المقبرة «سيّدي عبد الرّحمان الثّعالبي « بالقصبة ؛ فنصّب المجّاوي في هذه المدرسة الجديدة و في نفس السّنة ، كان من هؤلاء الّذين استقبلوا الوفد المغاربي (تحت قيادة الجبّاص) الّذي جاء ليتفاوض مع الحكومة الفرنسية حول مخطّط الحدود بين الجزائر و المغرب.

في سنة 1908 م، عيّنته الحكومة الفرنسية إماما وخطيبا للمذهب المالكي في مسجد سيدي رمضان[19]، وهو من أقدم مساجد العاصمة، تمكّن فيه أن يساهم في تعظيم شعائر الله و تعزيز الإسلام في قلوب الجزائريّن الّذين كانوا يتوافدون على هذا المسجد.

أثناء هذه المرحلة العاصميّة، ظلّ الأستاذ الإمام عبد القادر المجّاوي يواصل أعماله تّجاه الجمهور المسلم . فألف عدّة كتب، تصير البعض منها فيما بعد مراجعا قيمة مثل « المرصاد في مسائل الاقتصاد» الّذي ألّفه مع الشّيخ عمر بريهمات عام 1904 و الّذي يعتبر كمصدر هامّ في ميدان الاقتصاد السّياسي الاسلامي[20] .

19- أبو عمران و فريق من الأساتذة : « معجم مشاهير المغاربة « ، منشورات دحلب ، الجزائر. ص 418.

20- عبد الرّزّاق بلعبّاس : « البّعد الإقتصادي عند الشّيخ المجّاوي من خلال كتاب المرصاد في مسائل اقتصاد». في : الشّيخ عبد القادر المجّاوي ، أعمال ملتقى وطني بتلمسان . منشورات وزارة الشّؤون الدّينية و الأوقاف . تلمسان عاصمة الثّقافة للإسلاميّة سنة 2011 م . ص 86 – 126

كَتب عبدالقادر المجّاوي عدّة مقالات نُشرت في الصّحف[21] (كجريدتي «المغرب» و« كوكب افيقيا») التي كانتا تصدر و تفتح أعمدتها لمقالات المسلمين : كانت هذه النّصوص تعالج مسائل متعلّقة بالحفاظ على إسلام أصيل ومحاربة الشّعوذة والممارسات الدينية المبدَعة. ومن جهة أخرى، كان يحارب الآفات الاجتماعية التي يروّجها أو يفرضها الاستعمار كالتّدخين وشرب الخمر والكسل واللهو والقمار والبطالة الخ . تلك الممارسات والتّصرّفات الّتي تقود إلى هلاك الشّخص وبالتّالي إلى تفكّك المجتمعات و زوالها.

زيادة إلى هذا ، تميّز الشيخ عبد القادر المجّاوي بنشاط كثيف ضمن الحركة الجمعويّة. فهو من مُؤسّسي جمعية التّرفيهيّة « التّوفيقيّة» وكان عضوا ضمن جمعيّة دينية كانت تعمل على مستوى ولاية الجزائر والّتي كانت تضمّ أكثر من ثلاثة آلاف عضو؛ كما أنّه تعامل مع عدّة جمعيّات مثل « نادي صالح باي» في قسنطينة و« الرّاشدية» بالجزائر العاصمة، فتمكّن في هذا الإطار من إلقاء عدّة محاضرات ترفيهيّة إصلاحيّة، كما أنّه تمكّن من أن ينفخ في أذهان إخوانه و طلبته فكرة العمل في إطار جماعي وجمعوي، تطوّعي لخدمة قضيّة تأتي بالمنفعة للآخرين دون أيّ مُقابل مادّي ملموس . ففي هذا المجال، كانت له نظرة بعيدة الأهداف، فقد أبصر اهمّيّة هذه التّشكيلات الاجتماعية في تنسيق جهود الأفراد والدّور الّذي تلعبه في تجنيدهم حول غاية مُشتركة .

تشريف و تكريم[22]:

تقديرا لنوعية أعماله و تعلّقه بالعلم ، عرفانا للدّور الّذي لعبه اتّجاه المسلمين، إحتاز الشّيخ عبد القادر المجّاوي على الوسام الذّهبي للمعارف كما أنّه تحصّل على وسام الإفتخار التونسي . وفي سنة 1906م،

21- إحدادن ز. : « أعلام الصّحافة الجزائرية» ، دار التّراث ، الجزائر ، 2002
22- جريدة الفاروق ، رقم 81 ، أكتوبر 1914 م .

قدّم له وزير التعليم والفنون الجميلة وسام الشّرف عرفانا لمُستوى تعليمه العالي وتصرّفه الحميد كمُوظّف الدّولة. غير أنّه، في وثيقة شهـادته وفي الجهة المخصّصة لـ «الهويّة»، فقد شُطبت الكلمة «فرنسي» وعوّضت بعبـارة «أنديجـان مسلم». فهو لن يتخلّى أبدا عن مبادئه وهويّته الجزائريّة المسلمة .

وفاته في قسنطينة[23] :

مع انـدلاع الحرب العـالمية الأولى وبعد وفـاة عدّة من أصدقـائه و زملائه، صار عبدالقـادرالمجّـاوي يذهب إلى قسنطينة ليستريح و يلتقي بأهله و أصدقـاءٍ أو تلاميذ قدمـاء . وفي ليلة من ليـالي الخريف ، قضى الشّيخ الإمـام السهرة مع صديقه المولود بن الموهوب، وصهره محي الدّين ابو طالب و جماعة من الأصدقاء الأوفياء، اجتمعوا في مسجـد سيـديْ عبـدالمـؤمن بقسنـطينة لأداء صـلاة العشـاء. بـعدهـا، واصلت الجماعة المنقـاشة فتـرة قبل أن يقـرّر الشّيخ المجّاوي الإنسحاب والعودة إلى البيت حيث وافـتـه المنيّة بعـد أن كـرّس حياته في خـدمـة الحفاظ على الإسلام واللّغة العربية وتعليم الآخرين ، راميا في كلّ لحظـة من حياته تكوين أجيال من العلماء والوطنيين المخلصين يحملون رسـالة نور الإسلام وروائع العروبة ويحثّون على استرجاع الكـرامة والإحتـرام بفك قيـود الهيمنة الإستعمارية العبـوسـة .

فطوال حياته ، لن يتوقّف من الجهاد الفكري . لن يتعطّل عن دور العـالم المرشد، رغم أنّ وضعيّته كأنديجان كانت تفرض عليه الإحتراس و رجاحة العقـل . ففي معظم كتـاباته ، كان يلجأ إلى الإستعارة و الكناية و غيرهما من الوسـائل اللفظيّـة و البلاغية للتّعبيـر عن أفكـاره دون أن يُعرّض نفسه لقسـوة قمع الإدارة الحاكمة .

23- أنظر الملاحق في آخر الكتاب

ففي تأبينه ، قال الأستاذ عبد الحميد ابن باديس:

« ...أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة ، أنت الذي كما كنت مورد المتعطشين و مصدر الكاملين ، كنت مثالا لحسن الأخلاق و كرم الطبع و لباب الفضيل ، أنت الذي تصاعد حلمك و علمك فأصعدا بالنّاس في معاريج الكمال.... »[24]

كما أنّ عمر بن قدّور الجزائري قال في رسالة يرثي فيها الأستاذ، الإمام، المدرّس، المجاهد، العالِم، الشّاعر، عبد القادر المجّاوي: «... رضوان الله عليك يا استاذ الجماعة ، فلولاك لم تتكون جماعة الّذين استيقظوا في أطراف هذا القطر. ولولاك لما انتعشت لغة العرب في هذه البلاد و لا عرف النّاس ايمانهم و إسلامهم...»

زواجه و خلفه:

في سنة 1873 م ، تمكّن عبد القادر المجّاوي أن يتزوّج بفتاة تنتمي إلى عائلة قسنطينيّة شريفة و هي عائلة معروفة بلقب «بن الميرْ» . فأنعم الله هذين الزّوجين أربعة بنات (أحدهن توفيت و هي في السّنوات الأولى من عمرها) و طفلا يدعى مصطفى وهو الّذي عُرف فيما بعد كقاضٍ في مدينة البرواقية ، في العقد الثّالث من القرن العشرين، حيث أنّه مكث هناك إلى أن توفى سنة 1931 م بعد مرَض لم يدم طويلا (ترك بدوره أربعة أولاد : عبدالله (توفّى سنة 1975م)، عبد الجليل (توفّى هذا الأخير وهو طفلا صغيرا)، عبد الرّحمان الّذي صار كاتب محكمة (توفّى عام 1939 م)، وأخيرا محمّد نور الدّين، و قد صار هذا الأخير بعد الاستقلال ، وكيل الجمهوريّة بمحكمة حجّوط ثمّ قاضيا بها. (توفّى في 1968 م)) .

24- القصيدة موجودة في الملاحق في آخر الكتاب.

نظرة عن الأوضاع الاجتماعية السائدة قبل 1878 م

اختـار عبدالقـادر المجّاوي أن يعود إلى الجـزائر سنة 1869م[25]، مباشرة بعد تحصُّله على إجازة مشايخه بجامعة القرويّين بمدينة فـاس المغـربيّـة، تلك الإجازة الّتي تسمح لطالِب العِلم أن يصير بدوره، مدرِّسا مُعترفا به . فهذه الفترة كانت تصادف حركة ثورية شعبيّة في فرنسا، انتهت بسقوط حكم نـابليـون الثـالث و إنشـاء الجمهوريّـة الفرنسيّـة الثّـالثـة (يترأسها حاكم مدنيّ) . غير أنّ هذا الانقلاب أنشأ وضعيّة سياسيّة واجتماعيّة مُـزرية و متقـلّبة للغاية في فرنسا كما أنّه خلّف إنعكاسات سلبيّة، خاصة فيما يخصّ الانتاج الصّناعي و الزّراعي حيث تعطّـلت آليات الانتاج و صارت حاجيات الفرنسيّـين تفوق بكثير العرض المحلّي ، فلجأ المسؤولون الفرنسيون إلى استعمال المنتوجات الجزائرية[26] للحـدّ من الفقر والمجاعات الّتي خلّفتها الثّورات المتتـالية في فرنسا.

فلا شكّ أنّ عبد القادر المجّاوي كان، وهوشابٌ طالبٌ للعلم، بَعيدٌ عن وطنه، يتتبّع و يترقّب ، قدر المستطـاع، أخبار هذا القطر العزيز الّذي وقع بين مخالب الجيوش الاستعماريّة[27] . فقد مضى شبابه مُمزّقا بين، من جهة، حُبّه للعلم و المعرفة والبحث عنهما، ومن جهة أخرى

25- جريدة الفاروق ، رقم 81 ، 09 أكتوبر 1914 م ،

26- Lemonnier H. : « L'Algérie », éd. H.E. Martin, Paris, 1881, p 134 et suivantes

27- Delfaissy : « Colonisation de l'Algérie par le système du général Bugeaud », imp. De V. Aillaud, Paris, 1871. P 08 : « Comme nous cherchons à le démontrer, c'est dans l'armée seule que la France trouvera les véritables éléments de la colonisation et du peuplement de sa précieuse colonie Durant tout le temps encore que les vieilles nations de l'Europe auront besoin de se faire garder par l'élite de leur jeunesse. La France peuplera l'Algérie avec les déclassés et les débris de ses armées permanentes, non pas en dépit, mais à la faveur de la loi nouvelle, on ne peut plus favorable à notre système. »

تشوّقه للعودة إلى أرض أجداده لخدمتها والوقوف إلى جانب إخوانه الجزائريّين[28] المضطهَدين. إخوانه الّذين أصابتهم كل أنواع المصائب منذ عشرات السّنين .

من النّاحية العسكريّة: كان الجزائريّون يعانون من الجرائم[29] والمجازر الوحشيّة الّتي كان يرتكبها الاستعمار الفرنسي في مستوطنته الجديدة منذ أوّل خطواته فيها. كانوا يواجهون ويتحدّون الجيش الاستعماري وهم مُنضَمّون حول نخبة من الأبطال أمثال الأمير عبد القادر، أحمد باي، بوبغلة والشّيخ بوزيان[30] وغيرهم من هؤلاء الرّجال العظماء الّذين كتبوا بسيوفهم وبدمائهم تاريخ المقاومة المسلّحة في وجه واحد من أعظم جيوش العالم في وقته والّذي كان يُطلق عليه اسم «جيش الامبرطوريّة الفرنسيّة». فبالرّغم أن المقاومات المسلّحة خَلّفت خسائر معتبرة في صفوف الجنود الفرنسيّين، إلّا أنّ التّفوّق العددي والإستراتيجي للجيش الفرنسي سمح له أن ينشر سيطرته إلى مدن التّل في الوهلة الأولى، و بعدها إلى عدد كبير من المدن في شمال الصّحراء (بشّار، االأغواط، ورقلة، بسكرة، وادي ميزاب...). فبقي الجزائريون واقفون، صامدون في وجه الاستعمار، يدافعون بطرقهم وبوسائلهم على أنفسهم وعلى ممتلكاتهم وأراضيهم ويدفعون الثّمن الغالي للتّعبيرعن رفضهم القاطع للاستعمار وما يحمله من مَحق ونَهب .

28- إلى أن صار المصطلح «جزائري» يشير إلى المعمّرين و ليس إلى السّكّان الأصليّين للجزائر الّذين صاروا يُنعتُون «أنديجان» . من جهتنا ، خصّصنا المصطلح «جزائري» للإشارة إلى السّكّان الأصليّين للجزائر

29- أنظر «La conquête de l'Algérie» لـC. Rousset. ص 22 : يتكلّم المؤلّف عن محرقة الدّهرة في جوان 1845 م.

30- Rousset C. : « La conquête de l'Algérie, 1841 -1857 » . Plon, Paris, 1889, p 255

من النّاحية المادية : كان الشّعب الجزائري يعاني من تخريب الشّبكة المعماريّة الّتي كانت تحميه من التشرّد وآفات الدّهر[31] وعنف الغزاة[32]؛ واجه تدمير مخازن الحبوب ، فصار عرضة للمجاعات المتكرّرة والّتي زادت حدّة[33] في أواخر العقد الثّالث من الاستعمار الفرنسي مُخلّفة مئات آلاف الضّحايا في مجتمع مُشتّت ، مفكّك ، يتألّم و يعاني من أقصى أنواع و أشكال الباطل والعنف المُستعمل من طرف المستعمِر الّذي لم يعْف حتى المسجد ليحوّلها إلى مرافق عسكرية أو مخازن أو اصطبلات[34] إن لم يكن يهدمها لاستعمل الخشب للتّدفئة و لنقل الرّخام والخزف و الثّريّات في متاحفه و قصوره .

31- Maillart C. : « L'Algérie dans la littérature française », L . A Ed Champion , 1925, p 197 : « ... Toutes les maisons qui n'étaient pas occupées par des officiers furent presque démolies,….' .. Les soldats ruinèrent les innombrables canalisations d'eau qui irriguaient les jardins, les vergers si beaux de la banlieue et qui amenaient en abondance l'eau dans la ville ».

32- Rousse C. . « La conquête de l'Algérie, 1841 – 1857 ». Ed. Plon Nourrit et Cie Paris, 1889. P 257 : « Tout ce qui tenait encore debout dans le ksar et autour du ksar, mosquées, minarets, maisons, murailles, vergers, palmiers, acheva de disparaître. Tout fut rasé au niveau du sol . Groupés à distance, les arabes des oasis voisines contemplaient terrifiés, cette ruine. »

33- A. Nouschi : Correspondance du Dr Vital avec I. Urbain (1845 – 1874), L'opinion et la vie publiques constantinoises sous le second empire et les débuts de la troisième république). Imp Imbert, Alger, 1958. P 213 : « Les indigènes meurent en masse du côté du Smendou, dans la tribu des Eulmas et sur quelques autres point ; deux médecins militaires sont installés dans les localités les plus atteintes. Tous deux semblent croire à l'existence du choléra ; mais il résulte de leurs rapports même qu'il s'agit plutôt du mal de la misère, d'un typhus contagieux engendré par l'insuffisance de l'alimentation depuis plusieurs mois. Sans doute laisser mourir les affamés est le moyen le plus court et le plus simple.»

34-المجلّة الإفريقية ، جريدة أعمال الجمعية التاريخية الجزائرية ، 9/1862 ، ص 372 : «كانت الجزائر (العاصمة) تتضمّن في 1832م 13 جامع ، 109 مسجد و 32 مصلى و 12 زاوية . اي مجموع 176 بناية مخصّصة للممارسات الدّينية. في 1862 م ، لا تزال سوى 9 جوامع، 19 مسجد صغير، 15 مصلى و 5 زوايا ؛ أي 47 بناية ، خصّصت من بينها للممارسات الإسلامية : 4 جوامع كبيرة ، 8 مساجد صغيرة ، و 9 مصلات ، أي 21 وحدة»

زِدْ إلى هذا قانون[35] فارني الذي سمح للاستعمار الاستيلاء على أراضي القبائل، خاصّة المقاومة منها والّذي جاء بعد قانون «السيناتوس كونسلت 1863 م» الّذي كان يهدف إلى تشتيت أراضي العروش وتفكيك القبائل الجزائرية الكبرى وإبعادها عن الصّوامع الّتي كانت تستعملها لخزن الحبوب. الهدف كان تفقير وتجويع الجزائريين من جهة والاستيلاء على الأراضي[36] من جهة اخرى؛ والمبرّر كان إدخال مبدأ الملكيّة الخاصّة للأرض (قصد تحطيم أسس البنية الاجتماعية المحلّيّة الّتي كانت متماسكة حول الملكية الجماعية للأرض)، الموضوع الّذي يتطرّق إليه فيما بعد وبتدقيق الكاتب الصّحفي الفرنسي في كتابه «المعجزة الجزائريّة» قائلا : « «لكنّ السينتوس كونسولت 1863م، محطّما وحدة القبيلة، جعلها دواوير و قرى، على رأس كل منها قائد؛ بدأ الشُّرَفى والجواد يفقدون نسبة كبيرة من نفوذهم . خاصّة أنّ القوّاد الّذين كانوا يرأسون القرى ، عوضَ أن يُختارون في أسرة الحاكم الأصلي للقبيلة الأصليّة، كانوا يُختارون من بين الأنديجان الّذين أدمجوا في صفوف الجيش الفرنسي أو من بين أعيان جُدد ، سبق و قدّموا يد المساعدة للاستعمار»[37]

مع كل هذا، كانت الإدارة الإستعماريّة تفرض ضرائب باهضة على الأنديجان. كل الممتلكات ، كل المحصولات ، كل المواشي و حتى امتلاك

35- Recueil général des lois et des arrêts en matière civile, criminelle, commerciale et de droit public. J.B. Sirey , année 1884, p 369 : « L'article premier de la loi Warnier du 26 juillet 1873, en déclarant régie par la loi française, en Algérie, toute transmission contractuelle de biens immeubles et de droits immobiliers , et en prononçant comme conséquence, l'abolition de tous les droits réels, fondés sur le droit musulman ou kabyle, qui seraient contraires à la loi française »
36- Taillart C. : « L'Algérie dans la littérature française », L.A. Edouard Champion, Paris, 1925, p 86 : « ...Il y'avait peu de terres à donner, car les terres appartenaient aux algériens et il fallait trouver un moyen qui ne fût pas une spoliation, pour faire passer la propriété des indigènes aux colons »
37- Leune J. : «Le miracle algérien», ed Berger_Devrault, 1930, p 150

الكلاب كان تخضع إلى ضرائب داهشـة ، لا يمكن للأنيجبان أن يدفعها ، الشيئ الّذي كان يجعله عرضة للإفلاس و المتابعة القضائية .

من النّاحية المعنويّة: كل المؤشرات تدلّ على أنّ التّربـيّة الدّينـية الّتي تـلقّـــاهـــا المجّـاوي منذ صغره و روح الوطنية الّي بقيت تقوده في اختيـاراتـه جعلاه يبـقى متشـوّقـا بالرّجوع إلى الجزائر ، خـاصّة أنّ عدد هـائـل من علمائها غـادروها للاستقـرار في أقطـار مُسلمة لا تعـاني من استعمـار و حُكم المسيحيّيـن[38].

يُـقال أن «من علامـات السّـاعة و هلاك النّـاس، ذهاب علمـائهم»، فاختيـار هذا الشّـاب، حينما تحصّل على إجازته بجامعة القرويّيـن بفـاس، أن يعـاكس موجـة نفـور العلمـاء الجزائريّين من هـذا الوضع الحزيـن، فـأبى المكوث في المهجـر و اصطفى الــرّجـو ع إلى وطنه المدمّر ليُسـاهم ، قدر مـا استطـاع ، في إبقـاء شيء من الإسلام الصّحيح والعلم النّـافع وسط إخوانه المسلمين. خـاصّة أنّ المُستعمرين كثيرا ما كانوا يستعملون إيمان الجزائريّين و تمسّكهم بالقضاء والقدر للتّــقطيـر في أذهـــانهم فـكـرة تـقـبّـل الاستـعـمـار كـظـاهـرة من إرادة الله وبالتّـالي أنّ الخضوع إلى سيادة المسيحيّين شيء مفروض على المسلمين المؤمنيـن .

مع ذلك، كثيرا ما استعملت الإدارة الاستعمارية أشخـاص أمثال شـارل دي فوكو[39]، الّذي ترعرع على يد جدّه - و كان هذا الأخير عقيدا في الجيش الفرنسي - فصار هو بـدوره ضابطا خرّيج المدرسة العسكرية الشّهيرة «سـان سيـر» قبل أن يأتي إلى الجـزائر مـرّة أولى (عام 1880م) كضابط

38- (و لا شكّ أنّ هذه الهجرة إلى الخارج سمحت للنّهضة العربية الكبرى أن تتغذّى من ما أتى به علماء الجزائر من علوم و معارف)

39- دي فوكو : 1858 م – 1916 م.

ثمّ مـرّة ثـانيـة (سنة 1902 م) بصفة باحث مختص في الجغرافيا وليستقرّ، أخيرا، في صحرائنا (ببني عبّاس ثم بالهقّار–أسْكْرَم) كراهب يكرّس حياته لمساعدة « إخوانه» خاصة التّوارق . بالطّبع ، لـم يكـن عَمـل هـذا الرّاهب يتوقف على التأمّـل والذّكر والصّلاة....[40] فمن وراء قناع التّديّن والتّقوى، كان لرجال الدّين المسيحيّون عِـدّة تقنيّات غادرة لإتمام مهمّتهم الرّئيسيّة الّتي تتمحور حول جلب المسلمين وجعـلهم ينفرون من الإسلام لاعتناق المسيحيّة؛ ولهذا الغرض كان يقول دي فوكو في رسالة مُوَجّهـة إلى أحد الزّعماء الطّوارق والّذي تميّـز بنواياه الحميدة اتّجاه الحفاظ علـى الإسلام والسّلم بين الطّوارق: « .... وإن أراد ان يَعْـرف كيف يفكّر يتكلّم ويتصرّف الأنبياء ، فليأتي عندي، سأقرأ له الإنجيل[41]» .

كان للمستعمرين مشروع يـرمي إلى تمديد الأمبرطورية الفرنسيّة المسيحيّة إلى شمال إفريقيا و جعل هذا الأخير جزءً مُلحقًا بها. وللوصول إلى هذه الغاية ، كـان عليهم أن يقـوموا بمحو كلّ علامات الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر حتى يسهل عليهم، في الوقت الّذي يختارونه، تعـويضهـا «بحضـارة» يتحكّمون في أسسها ومكوّنـاتها[42]،

40- Bazin R. : « Charles de Foucauld, explorateur au Maroc, érmite au Sahara. » . Plon, Paris, 1921, p 75 : « A la suite de 'La reconnaissance au Maroc', Charles de Foucauld a rédigé avec cet esprit méthodique si remarquable déjà dans le récit même du voyage, une seconde partie qu'il intitule ' Renseignements'. Dans cette partie toute scientifique, sont rassemblés les détails que le voyageur a pu observer ou recueillir, sur les rivières et leurs affluents, les tribus et leurs divisions, le nombre de fusils et de chevaux dont elles disposent, les routes, celles qu'il a suivies et celles dont on lui a parlé, avec l'indication de la durée des étapes : sorte de guide que les chefs de nos troupes opérant au Maroc ont consulté et consultent encore aujourd'hui.... »

41- نفس المرجع ، ص 324

42- ما يشير إليه شريف بن حبيلس في كتابه «الجزائر الفرنسية في نظر أنديجان « ، دار النشر فونطانا، الجزائر، 1914، ص 61: «»فهو (الفلاح الأنديجان) لا يعرف الماضي. و بالتّالي لا يبكي على روائع الإسلام الّتي بقيت مجهولة لديه. ولا يمكن قطف إحساس الوطنية في حديقة قلبه. ففي نظره ، الوطن هو الكوخ ، هو الدّوّار ، القبيلة حيث يعيش، حيث وُلد أجدادُه، لا أكثر.» (مُترجم من طرفنا)

و طبقا لمناهج و أهداف تراعي مصالح اقليّة فرنسية على حساب أغلبية من الأهالي .

ففي هذا السّياق الحقير، يقول آشيل ديلاسوس[43] وهو يتكلّم عن تعليم الأنديجان : «... يجب أن تُتَّخذ عمليّة تعليمه لا لصالحه، بل لفرنسا. فهي عمليةُ سيادةٍ ، تُتمّم استيلائنا على الأراضي ، باستيلائنا على الأرواح...». وما أبشع فكرة «الاستيلاء على الأرواح»! فهي صورة مُقترفة تعكس الحقيقة المخفيّة للفكر الاستعماري والايديولوجية العنصرية السائدان في القرون السّابقة عند روّاد و حكّام الدّول الأوروبيّة المستعمرة الّتي لم تتردّد على القضاء على شعوب و حضارات (مثلما وقع في أمريكا الجنوبيّة والشّماليّة) للاستيلاء على أراضٍ و ثروات و جعلها تحت تصرّف بعض المغامرين والمعوزّين الّذين يفضّلون الهجرة إلى مناطق جديدة على البقاء في وطنهم ، حتى و لو تطلّب ذلك قتل الأهالي و إبادتهم .

فكانت هذه الدّولة الاستعمارية تدّعي وتكرّر للرّأي العام الدّولي أنّها أقبلت على هذا القطر الإفريقي الخالي من أنواع الحضارة، قطر تعيش فيه جماعات من الأشخاص الوحشيّين ينتمون إلى قبائل من الجهّال الهمجيّين، لا يعرفون مبادئ الإنسانيّة والحضارة والتّمدّن، بينما هي، دولة و«وطن حقوق الإنسان[44]»، حاملة لِمَنهج كريم وصادق في إفريقيا، تُريد الخير والسّعادة « للآخرين»، تنشر الأمن و التّمدّن والازدهار أينما وضعت قواعدها ، تضمن العدالة الاجتماعية و تسهر على راحة وصحّة المواطنين و تدفع الثّمن الغالي لبناء مدن عصريّة تشمل المرافق الّتي تتماشى مع رفاهيّة المجتمع و الرّقيّ للجميع .

43- A. Delassus : « Métropoles et colonies, La conquête morale des indigènes », Librairie pour Tous, Alger, 1913 , p 95

44- في 1789، بعد الثّورة الفرنسيّة ، تمّ في فرنسا الإعلان عن حقوق الإنسان و المواطن . يمثّل هذا النّص قاعدة و أساس القانون الفرنسي ، غير أنّ في الجزائر المستعمرة ، لم تُؤخذْ أيّة مادة (من بين السّبعة عشر) بعين الإعتبار من طرف الإدارة الفرنسيّة بمبرّلر أنّ الجزائريّين ليسوا مواطنين ، بل أنديجان ، يُطبّق عليهم قانون خاص بهم .

هذه هي الصّـورة المزيّـفة، الكـاذبة الّتي كـانت الإدارة الاستعمـاريّة الفرنسية تقدّمها للدّول الأخرى لتُـبـرّرَ وجودها وتصرّفـاتها في شمال إفريقـيا بعدما امتصّت مدّة عشرات السّنين، أكبر جــزء من لب الجــزائر بعدما اعتدت على نخاع هذا الوطن لتُـدبر الأمور إلى صالحها الوحيد، بعدما دفعت إلى المنفى عــدد معتــبر من علمـائها وفُـقهـائها، لكنّهـا «نسيَت» أن تـشـرح من هـم «الآخـرين»، من هم «الجميع» . «نسيت» أن تشرح على أي أساس و على من كانت تطبق مبدأ الإحتجاز الإداري[45] للتّخلّص من رجال و شـبّان مسلمين بـدون أيّة محاكمة[46]، «نسيت» أن تقـول كم من منشآت معماريّة دمّـرت للوصول إلى غـاياتهـا. «نَسِيَتْ» أن تُصرّح كم من مُسلم و كم من مسلمة ، بل و كم من قبيلـة أبيدَت لهـذا الغرض البشع بطرق مختـلفـة[47] أو أن تـقـول كم من طفل وكم من شاب مُنع من مواصلة دراسته وكم من يتـيـم أدمج في ميـاتم المشروع الّذي حقّقه لافيجري وأتباعه ليتمكّنوا من تجريد هؤلاء الأطفال من دينهم و حتّى من اسمائهم الأصلية ويُحوّلوا إلى المسيحيّة[48] وكم من عائلة فـقدت هويّتـها وانتماءها ورأت أفـرادها مُشتّتين بألقـاب مختلفة فرضتها عليهم الإدارة الفرنسيّـة (خاصة بعد قانون 26 جويلية 1873م المتعلّق بملكيّة الأرض) . فِعْلا، فالإدارة الاستعمارية تناست الكثير من المعلومات المُفجعة وغمرتها في هاوية الدّعاية و الغدر. كما أن الاستعمار « نسي» أن يعلن كم من كنوز وكم من مكاتب نفيسة و كم من مخطوطات

45- Internement administratif

46- Lecour grandmaison O:« Coloniser-exterminer, Sur la guerre et l'état colonial», éd Casbah, Alger, 2005, p 204

47- A. Nouschi : « Correspondance du docteur A. Vital avec I. Urbain », Imp Imbert, Alger, 1958, p 277 : « ...Ces mesures seraient surtout appliquées à la province d'Oran où les passages du Tell dans le Sahara sont parfaitement déterminés et où la famine a fait disparaître des tribus entières et laissé par suite des étendues immenses de terrains en friche »

48- Lavigerie C. : Lettre de Mgr l'archevêque d'Alger (Lavigerie) à monsieur le directeur de l'Oeuvre des écoles d'orient sur la mission d'Afrique et la création de villages d'arabes chrétiens en Algérie, éd. Œuvres des écoles d'Orient, Paris, 1876

قيّمة شُحنت في بواخر فرنسيّة وغادرت أرض الجزائر لتُنقل إلى فرنسا و تُغنِيَ قصورها و مكتباتها و متاحفها . ففي هذا السّياق، لنا شهادة «دو سلان»[49] الذي كان يُعبّر - في تقرير أرسله في سنة 1845 م إلى وزير التّعليم العمومي - عمّا كانت تحفظه المكتبات الجزائرية و ما جرى لها إثر دخول الفرنسيّين إليها.

أمام هذه الوضعيّة المُزرية السّائدة ، لم يستسلم الشّيخ المجّاوي عبدالقادر، لم يتقبّل فكرة الانهزام التّامّ و الدّائم أمام العدوّ. لم يستوعب أبدا فكرة جزائر فرنسيّة مُفرنسة مسيحيّة .

فبالرّغم من أنّه وُلد بتلمسان ، قرابة عشرين سنة بعد دخول الاستعمار إلى الجزائر (بالضّبط ، بضعة أشهر بعد توقّف الأمير عبد القادر من المقاومة العسكريّة المسلّحة و مغادرته الجزائر) و بالرّغم من أنّه لم يعرف بلاده سوى تحت عبء الاستعمار ، إلّا أنّ موقفه اتّجاه هذا الوضع كان واضحا. وهذا بفضل انتمائه إلى أسرة تلمسانيّة فاضلة ، فخورة بأصلها العربي ، ساهرة على أن تزرع في قلوب أبنائها روحا خاصّة ، غيورة على تاريخها، متمسّكة بشرفها و أصالتها و حريصة على وطنها.

بعد عودته الى الجزائر، شهد عبد القادر المجّاوي سلسلة جديدة[50] من المقاومات المسلّحة ، اتّخذها من جديد بعض الرّوّاد الجزائريّون طريقة للتّعبير عن عدم تقبل الجزائريّين للاستعمار و سياسته الخبيثة

49- Le Baron de Slane W. (1801-1878), interprète principal de l'Armée d'Afrique: « Rapport adressé à Monsieur le Ministre de l'instruction publique, suivi de la liste des manuscrits arabes les plus importants de la bibliothèque d'Alger et de la bibliothèque de cid-Hammouda à Constantine ». Impr P Dupont, 1845,
http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&q=+slane
50- C. Rousset : « La conquête de l'Algérie, 1841 – 1857 » Plon, Paris, 1889 : « Toute l'Algérie était soumise. ... Il n'y avait plus un coin de terre, une anfractuosité de rocher, ..., qui n'acceptât ou ne subit la suprématie française. La voilà donc terminée, cette lutte de vingt-sept ans, soutenue de part et d'autre avec tant d'énergie. »

رغم مرور الزّمن. و من أشهر هذه الانتفاضات ، تلك الثّورات الّتي عمّت في شرق البلاد في سنة 1871م و على رأسها الشّيخ المقراني و أخوه، و كذلك الشّيخ بن الحدّاد . فرغم تجنّد عشرات الآلاف من المسلمين إلى جانب زعمائهم و رغم شجاعتهم المبهرة وقناعتهم الهائلة ، إلّا أنهم لم يتمكّنوا من التخلّص من الجيش الاستعماري . بالعكس ، عرف الجزائريّون خسائر بشريّة كبيرة سواء في ميدان القتال أو بعد محاكمات مُجحفة[51]، تعسّفية للغاية، كانت ترمي إلى صُنع رموز مرعِبة ، يُضرب بها المثل للحدّ من هذا النّوع من المقاومات : أحكام بالإعدام أو بالسّجن المؤبّد ، النفي المؤبّد إلى أراضي بعيدة مجهولة ، الاستيلاء على أملاك و أراضي الأشخاص والقبائل، الاستيلاء على المواشي، منع الأهالي من الاقتراب من المجاري المائية كالينابيع و الوديان إلخ... .

فقد أدرك المجّاوي أنّ المواجهة المسلّحة صارت لا تكفي . أدرك أنّ الجيش الفرنسي ، رغم الصّعوبات الّتي كان يواجهها في أوربا ، فهو الأقوى على الأراضي الجزائريّة .

الاستنتاج كان مُرًّا و جازِما : لا جدوى للقوّة أمام العدوّ الحالي ، أمام عدوّ مستعدّ لإستعمال كل الطّرق القمعيّة للحفاظ على أكبر ، أجمل و أغنى مُستعمراته : الجزائر .

تفطّن الأستاذ المجّاوي إلى الحاجة المُطلَقة إلى استعمال استراتيجيّة جديدة لمقاومته و للصّمود أمام المصيبة الإستعمارية.

51- « Voilà Bou Mezrag condamné à mort ; son avocat Grevy, d'après ce que m'en dit un des jurés siégeant, lui aurait été des plus nuisibles : La cause n'était défendable que d'un point de vue où l'avocat n'a pas voulu se placer... ». In A. Noussin : « Correspondance du Dr A. Vital avec I. Urbain, (1845 – 1874) : L'opinion et la vie publiques constantinoises sous le second empire et les débuts de la troisième république », Imp Umbert, Alger, 1958.

فمثلما فعل الاستعمار عندما دخل الجزائر أي مثلما اتّخذ الوسيلة العسكريّة من جهة و الوسيلة الفكريّة المعنويّة والإيديولوجية من جهة أخرى- حيث انّه أوّل ما قام به حين استيلاءه على القطر الجزائري هو تجهيل السّكّان الأصليّين و الرّمي بهم في غياهب البؤس الفكري والدّيني والعلمي[52] - رأى المجّاوي فائدة المقاومة في نفس الحقل أي في الميدان الفكري و العلمي و الإيديولوجي، و بالوسائل الموجودة بين يديه. فلا جدوى للكلام أو للتفكير في المنهج الحربي، العسكري المسلّح. فالسّاعة كانت حينئذ للسّلاح المعنوي : الدّيني، الفكري، العلمي[53] .

رأى المجّاوي أنّ هناك دورًا يمكن أن يلعبه لإسعاف إخوانه. دور يناسب شخصيّته و مهاراته و هو جدير به كمدرّس . كان الشّيخ يُبصر أهمّيّة استعمال التّدريس لأداء مهمّة ذات الأبعاد الخارقة والإنعكاسات العظيمة .

وبالفعل، لم يكن عبد القادر المجاوي محاربا بالسّيف أوبالبندقيّة كذلك عبدالقادر الّذي حارب «كلوزال»، [54]«لاموريسيار»[55] و«بيجو»[56] وغيرهم من الضّبّاط السّاميّين الفرنسيّين الّذين عانوا من شجاعة وجرأة و تعنّت الأمير البطل أكثر من سبعة عشر سنة، أو كهؤلاء

52- Fourmestraux E. : « L'instruction publique en Algérie (1830 – 1880) », ed Challamel, Pari,s 1880, p 36 : « La même ruine frappa les medersa. Dans les villes, les locaux furent le plus souvent détruits ou détournés de leur affectation. ….. On a paru d'abord se réjouir de la décadence des écoles musulmanes en pensant que la civilisation aurait plus facilement raison d'une population ignorante… »

53- Le Myre de Vilers M. (Sous la dir. De) : Etat actuel de l'Algérie» , Imprimerie administrative Gogosso et Cie, 1878, p 35 : « Mederça (école musulmanes d'enseignement supérieur) , ces étalissements, au nombre de trois, ont reçu 129 élèves, savoir, 41 à Alger, 48 à Tlemcen, 40 à Constantine »

ففي ديسمبر 1878م ، كان عدد الطّلبة المتقدّمين على المدارس الثّلاث (الجزائر، تلمسان ، قسنطينة) لا يتجاوز 129 طالب: 41 طالب في العاصمة ، 48 طالب بتلمسان و 40 طالب في مدرسة قسنطينة ، حيث كان يدرّس الشّيخ المجّاوي.

54- 1772 م – 1842 م

55- 1806 م – 1865 م

56- 1784 م – 1849 م

الّذين حاربوا العدو ماديّا و عسكريّا ؛ لم يتّخذ ميدان القتال الجسدي لمواجهة الاستعمار؛ اتّخذ ميدانا آخر: ميدان الفكر و الدّين والعلم والسّياسة بطرق مُحكمة ، سديدة . اختار هذا المنهج كون الجزائريّون الاصليّون قد أُهزموا عسكريًا، و لن يبقى منهم سوى شبح قوم ، يقوم ببعض المعارك المبعثرة، تكلّفه الكثير، لا تأتيه بأي شيء ملموس، و يسهُل عل الجيش الاستعماري إخمادها و تحويلها إلى صالحه بطرق حقيرة لئيمة ، كاستعمال مبدأ المسؤوليّة الجماعية و بالتّالي فرض عقوبات جماعية عنيفة ، قاهرة على القبائل .

اتّخذ المجّاوي السّلاح الجديد و الّذي كان في حيّزه ، للوقوف في وجه الاستعمار و استرجاع الاعتراف بشأن و مكانة المُميّزات العربية الإسلامية للجزائريّين . سلاحه هذا يتطلّب وقت طويل قبل أن تَظهَر نتائج استعماله ، لكنّه سلاح لا يخيّب الآمال أبدا . سلاح يعمل في أعماق الاشكاليّة و يؤثّر على جذور عناصرها و أخيرا ، تبدوا دلالات استعماله منيرة على الأذهان ، مشرقة على الأفراد ، مُحرّرة للشّعوب .

انطلق الشّيخ المجّاوي بهذا المنهج عن قناعة لأنّ الأمّة الّتي تفقد دينها ولغتها وثقافتها تَفقِد روحها فلن تبقى أمّة مصيرها الانهيار والهلاك، بينما الأمّة الّتي تحافظ على دينها ولغتها و ثقافتها فمَهما كانت الأمور ومهما كانت انقلابات الدّهر، تبقى الحياة تسكنها و قلبها يخفق إلى أن ترجع المياه إلى مجاريها و تستعيد الأمّة كرامتها و سيدتها.

فمباشرة بعد دخوله في مدينة الجسور، بدأ المجّاوي التّدريس في تلك المدينة الّتي كانت مشهورة بديناميكيّة علميّة زاخرة. فتلك المدينة التي كانت تقدّر العلماء و ترقّيهم في أحضانها ، سمحت له بالاستقرار بينما بقيت أسرته في طنجة بالمغرب حيث كان أبوه قاضيا[57] .

57- التّقويم الجزائري ، محمود كحول ابن دالي ، سنة 1911 م ، ص 105 - 107 .

حين وصوله ، كان لا يملك شيئا في قسنطينة ، لكنّه سرعان ما لقِيَ مساندة أهل المدينة ممّا سمَح له بالتّدريس في كتاتيب المدينة القديمة[58] ومساجدها و زواياها قبل أن تلاحظ الإدارة الفرنسيّة عمله فأدخلته كمُدرّسا في جامع سيدي الكتّاني. كانت آنذاك المدارس والمساجد تحت رقابة[59] مشدّدة من طرف الإدارة المركزيّة الفرنسيّة ، لاسيّما فيما يخصّ تعليم المسلمين. وكان التّلاميذ أيضا يخضعون إلى شروطٍ ورقابةٍ لا تترك لهم أيّة حريّة في علاقتهم مع الآخرين إلى حدّ أنّ معظم الأقسام الّتي فتحها المستعمر لتعليم المسلمين بقيت مهجورة من التّلاميذ. فبعدما انبهر الفرنسيّون من نسبة التّعليم عند الجزائريّين حين استولوا على البلاد[60]، تأسّف المدرّس المجّاوي لنسبة الأمّيّة الّتي لقِيَها عند إخوانه المُنتمين إلى الجيل الّذي فتح عيناه تحت رزء الإدارة الفرنسيّة[61]، كما أنّه توجّع أمام الحالة المزرية الّتي كان يعاني منها الأهالي. بل أكثر من ذلك، تفجّع لاحتقار المستعمرين اتّجاه الأنديجان خاصة أنّ تلك الفترة كانت تناسب الفترة الّتي كان بعض «العلماء» و«المفكّرون» الفرنسيّون منهمكين في تأليف وتركيب قانون خاص بالمسلمين «الأنديجان»، قانون يطبّق على فئة واحدة من المجتمع دون الفئات الأخريات .

58- Christellow A. : "Baraka and bureaucracy. Algerian muslim judges and the colonial state", University of Michigan, 1977. USA. P 436

59- :Sénat, 1894, Rapport fait au nom de la commission chargée d'examiner les modifications à introduire dans la législation et dans l'organisation des divers services de l'Algérie. Enseignement supérieur musulman. Par M. Combes, sénateur. (p 30 -60)

60- Rinn L. M. : « Notes sur l'instruction publique musulmane en Algérie » , éd. Fonyana, Alger, 1882. p 06
كان التّعليم العمومي أكثر انتشار مما نظنّه في الجزائر . كشفت علاقاتنا مع أنديجان المقاطعات الثّلاثة أنّ نسبة الذّكور الّذين يعرفون القراءة و الكتابة تناسب او تفوق ما تدلّ عليه الإحصائيّات الإدارية في أريافنا.

61- Mercier Lacombe M S/ la dir. : « Etat Actuel de l'Algérie, 1863 », . Impr. Impériale, Paris :
« عدد التّلاميذ ، من الجنسين ، المسجّلين في مختلف المؤسّسات التّعليمية يرتفع إل 35999، منهم 18242 ذكور و 17757 إناث ، من بينهم 265 ذكر مسلم و 35 فتات مسلمة». أنظر :

يُـعتبـر هذا القانـون الّذي يُعـرف بـ «قـانون الأنديجينا»[62] من 'أروع' ما اخترعه الإنسان من الوسائل الرّسميّة للظّلم والقمع، هو صرح من القساوة التّعسـفيّة، عملاق من القوانيـن الاعتباطيّة ، الظّالمة، الاستبداديّة.

فالتّـحدّي كـان كبيـرا و الخـطر أكبـر ، لكن المدرّس المجّـاوي لم يتـراجع و لم يفـرّ من مسؤوليّـاته كعالم ، لم ينفر من المهمّـة الصّعبة ، الجرينة الّتي لقِـيَها في الجزائر بصفة خاصّة و في قسنطينة بصفة خاصّة. فانطلق يقدّم و ينشر ما تلقّـاه من مشـايخه ، خاصّة انّه أبصر – بدون شك – رداءة مستوى و مضمون البرامج الّتي كانت تُـدرّس في المدارس للمسلمين، خاصة أن هذه المـدارس كانت تحضّر الطّلبـة إلى مِهَن الدّين والقضاء الخاصة بالأنديجان. فبتضعيف مستوى هذه النّخبة المسلمة ، كان من السّهـل خلق تيـار من النّفور من هؤلاء المُوظّفين وبالتّالي نفور من القانون الشّرعي وقواعده الدّينية. فانطلق الشّيـخ المجّاوي يدرّس قواعد اللّـغة العربيّـة والنّـحو، وظلّ يقوم بملاحظات واستـقراءات اجتماعية، مُسْـتعِينـا بتجاربه في عمله اليومي مع الطّلبة ومرتكـزا على احتكاكه مع القسنطينيّين المسلميـن. إلى جانب هذا المحور اللّغوي الـرّسمي، أراد أن يقـدّم للمسلميـن إرشادات دينيّة قصد إصلاح إدراكهم و فهمهم للإسلام وتعديل تصوّراتهم و مُمارستهم لدينهم الّذي صار، منذ بداية الاستعمار، عرضة للتّشويه والانحراف والتّقبيح من قِبل الإدارة الاستعمارية الحاكمة وأذنابها.

كلّ هذه الأعمال ، كان يقوم بها و هو على يقضة دائمة اتجاه المراقبة الإدارية الفرنسيّة ، خاصّة أنّ المادة 7 من المقرّر الولائي للجزائر (العاصمة) لـ 09 فيـفـري 1875 م كان يعرّض لعقوبات شديدة « كلّ مَن يتكلّم جهرا أو أمام جمهورٍ قصد تضعيف الاحترام المُستحَق من طرف السّلطة»[63]. فكـل كلمـة ينطـق بها جـزائـري أو كـل عبـارة غيـر واضحة

62- Code de l'indigénat

63- احدى مواد قانون الأنديجينا ، و نصّ المادّة باللغة الفرنسية في الملاحق .

أو حتى عبارة لم يفهمها الفرنسيّ على حقيقتها ، كان من الممكن أن تصير سببا لمعاقبة الأنديجان و رميه في السّجن للتخلّص منه .

هذه لمحة عن الجوّ الدّاهس الّذي واجه عودة المجّاوي إلى الجزائر حيث كانت وطأة الإستبداد الاستعماري أشدّ من كلّ الكوارث الّتي مرّت على هذا القطر. فقيمة خطاب الأستاذ ، المدرّس العالِم المصلح ، لم تُكشف خفاياه ما لم نُدمجه في سياق تفكيري يواجه سياسة إستعمارية عنصرية شنيعة قاهرة .

و في عام 1877م ، كما سبق و كتبناه في بداية هذا العمل ، ألّف الشّيخ المجّاوي كتابا مُعنوَنا «إرشاد المتعلّمين» طُبع في القاهرة[64]. و هو -حسب ما تحصّلنا عليه من مؤلّفات للمجّاوي – ثالث كتاب ينشره. يشير المؤلّف في بداية هذا الكتيِّب إلى المستوى التّعليمي للجزائريين النّاتج عن السّياسة التّعليميّة (أوالتّجهيليّة) الاستعماريّة . فدون أن يتكلّم عن الاستعمار بطريقة مباشرة ، تمكّن من أن يبرز رداءة النّتائج الّتي وصلت إليها « دولة التّنوير و العلوم» مع مستعمَريها ؛ أشار إلى ما فعلته دولة «حقوق الإنسان»[65]، (المادّة 22) مع أبناء الجزائر المسلمين[66]. فأراد من خلال هذا الكُتيّب ، أن يُزغزِع أذهان الأهالي[67] ليَستيقِظوا من سباتهم المُخطَّط من طرف المستعمِر. أراد عبد القادر المجّاوي أن يُبرز أهمّيّة التّعليم و التّعلّم و أهمّيّة استعمال طرق بيداغوجية حديثة، ترتكز على تعليم شامل ، لا يقتصر على اللغة و القرآن فقط بل على برامج متفتّحة على مختلف الفنون و العلوم الحديثة . كما أنه حثّ على إثراء البرامج التّعليميّة في المدارس المسلمة ، خاصّة

64- في نفس السّنة الّتي تحصّل فيها الإمام الحنفي محمّد عبده على درجة التّدريس في جامعة الأزهر على عهد الشّيخ المهدي العبّاسي . أنظر كتاب الشّيخ سليمان رصد الحنفي : « كنز الجوهر في تاريخ الأزهر». 1327 هـ ص 165.

65- تم الإعلان بهم من طرف روبسبيار عام 1793 م

66- Christelow A. : " baraka and bureaucracy, Algerian muslim judges and the colonial state, (1854 – 1892)". University of Michigan, USA, P 437

67- مالك بن نبي : « الصّراع الفكري في البلاد المستعمرة « – عموميات عن الصّراع الفكري

أنّ في المرحلة الّتي تتراوح بين 1850 و1873م ، قامت الإدارة الفرنسية بغلق عدد معتبر من بين الأربعين أقسام الّتي أنشأتها لاستقبال الأطفال المسلمين[68]. فبقي هؤلاء الأطفال يتّجهون إلى الزّوايا الّتي تركتها الإدارة الفرنسيّة ، ليتعلّموا مبادئ الإسلام و ليحفظوا القرآن ، لكنّهم لم يجدوا فيها سوى تعليم مُبسّط و ساذج للدّين ، و تدريس ركيكٍ للّغة العربيّة ، يتوقف على طرق تقليديّة مُعقّمة ، لا تعرف أسس البداغوجيا و لا تأخذ بعين الاعتبار الحاجة إلى الانفتاح على العلم النّافع و العالم الحديث الّذي كان يعرف آنذاك تطوّرات هائلة بسبب الثّورة الصّناعية و عواقب الثّورة الفرنسيّة (1789م) و ما خلّفته من مفاهيم اجتماعية و سياسية و فكريّة جديدة .

كان الشّيخ المجّاوي مقتنعا أن الدّين و العلم هما عاملان أساسيّان لصيانة كرامة الإنسان وازدهار المجتمعات . ففي منظوره، العلم و الدّين محوران مَعارِفييّان متكاملان ، لا يُسمح جعلهما يتنافران بل كلٌّ منهما يقوّي و يتمّم الآخر . الشّيئ الّذي سيعرضه كلّما كانت له الفرصة عبر كتاباته و مؤلّفاته .

68- Delassus A. : « Métropole et Colonies, la conquête morale des indigènes », Librairie pour tous, Alger 1913, p 28

تعليق تمهيدي

في بضعة صفحات من الكتاب «إرشاد المتعلّمين» ، يذكر الأستاذ الشّاب أهمّ العناصر المعارفيّة الّتي ينبغي على كل إنسان أن يستوعبها ليتمكّن من اكتساب نمط تفكيري يتماشى مع متطلّبات العصر الحديث . فالتّفكير السّليم ، في نظر الشّيخ المجّاوي هو ذلك التّفكير الّذي يُمَكِّن الوصول إلى عِلم شامل ، صحيح ، عن طريق النّقد البنّاء للنّمط التّفكيري و المعارفي الساري المفعول و المعتاد عليه. فهو يقترح قطيعة ابستمولوجية مع المناهج التّعليميّة التّقليديّة دون أن ينفي الحاجة إلى الحفاظ على الرّصيد المعارفي الّذي اكتنزه الإنسان عبر العصور. و للتّعبير عن هذه الفكرة ، نرى أنّ المجّاوي تمكّن من تفادي تنقيح البرامج المعمول بها في المدارس الخاصّة بالمسلمين. على سبيل المثال، إذا انتبهنا إلى الأسماء المذكورة في الكتيّب أو المشار إليها بطريقة غير مباشرة و عن طريق الامثلة الّتي أشار إليها المؤلف واستعملها لإثراء نصّه، فقد قام بذكر (أو بالإشارة إلى) علماء وشخصيّات عظيمة كلّها تنتمي إلى العالم العربي أو الإسلامي. أشار إلى عدد مُعتبر من أروع النّصوص الّتي هي مفخرة الأدب والشّعر العربي، وذلك عبر التّاريخ الإسلامي. فكل القرون مُمَثّلة وكلّ المراحل الّتي مرّت عليها الحضارة العربية-الإسلاميّة مُشار إليها كشعراء المعلّقات وعلماء العصر الأموي والعبّاسي، إلخ... ، دون أن ينسى أن يُشير إلى ابن سينا وابن خلدون وغرهم من العباقرة الّذين هم مَفخرة حضارتنا الإسلاميّة العظيمة.

إلى جانب هذا ، يطالب بلزوم إدماج وسائل علميّة وتقنيّات معارفيّة حديثة لبناء نسق تعليمي و تفكيري و معيشي عصري

في إطارٍ إخلاقي مُنسجمٍ و مُتماسك، مُستمَدٌّ من الدّين في إطار مشروع مجتمعاتي صالح. ففي نظره، العقيدة والإيمان (ما يسمّيه عِلم الأديان في كتابه)، عنصران لا يمكن استبعادهما من الفكر الإنساني الحديث، يُمكن بفضلهما التّمسّك بالدّين في كل أبعاده، والوصول إلى المعرفة العلميّة (والّتي يُسمّيها علم الأبدان) الّتي ترتكز على المنطق والموضوعيّة والتّجربة والاستقراء[69] ، و الّتي تمسّ كل جوانب الحياة .

لكن، و قبل هذا ، ففي الفصل الأوّل من نصّه[70] ، قدّم الشّيخ المجّاوي علوم اللسان. هذا، لإبراز أهمّيّة و طرق الحفاظ على اللغة العربيّة ومختلف فروعها، ومن جهة أخرى ، لأنّه يرى في اللغة الصّحيحة، المُتقَنة، أوّل الوسائل للتّبادل و التّرفيه المتبادَل بين الأشخاص و بالتّالي أوّل وسيلة يجب على الإنسان أن يتحكّم فيها للتّعايش في انسجام وازدهار وسط الآخرين؛ كذلك لأنّ دقّة اللغة، وصحّتها، وإحكامها هي شروط ضرورية لكلّ عمل علمي موثوق يتماشى والمعايير الحديثة. لكن ، وأكثر من كلّ هذا ، فإنّ الشّيخ المجّاوي، قبل أن يتطرّق إلى علوم الأديان – والمُنتظر من شخص مِثل المجّاوي هو ان يفتح عمله بعلوم الأديان – عَرَض في الفصل الأوّل من كتيّبه مختلف الفروع المتعلّقة بعلوم اللسان، كعلم البيان و علم المعاني و علم البديع إلخ. فهو يقدّم في نفس الوقت مفاتيحًا تُمكّن القُرّاء من استنباط واستوعاب المعاني المخفيّة و المَكْنونة في النّصوص الّتي يُقدّمها الكاتب. بهذه الطّريقة ، نتمكّن من إبصار أعماق وأبعاد أفكاره و آراءه ، وأهمّيّة الرّسائل الّتي يريد تبليغها لإخوانه .

أما في الفصل الثّاني، وعنوانه «عِلم الأديان» ، أشار الشّيخ المجّاوي، إلى الأية 23 من سورة الأنبياء : « لا يُسأل عما يَفْعل وَهم يُسألون» عندما ذكر صفات الله سبحانه و تعالى ، فهو الوحيد الّذي لا يُحاسَب و لا

69- و هما من أهم عناصر المنهج العلمي بمفهومه الحديث
70- أنظر الجزء الأوّل من نصّ «إرشاد المتعلّمين»

يُسـأل عمّا يفعل بينما الآخرون يُسألون، (و ربما هو يعني أن المستعمرون وجيشهم سوف يُحاسبون عن الباطل والجرائم الّتي قاموا بها عمدا و اختيارا). بعد ذلك ، يحثّ المجّـاوي إخوانه على معرفـة الفقـه لعلّـه يقصد بذلك تفـادي أخطـار إيمـانـا مَـبدئيًـا ، سـاذجًـا و ناقصا، يُستعمَل ضدّهم و يرمي بهم في مناجِل الاستعمـار بدون مُقـاومة . فقدّم المؤلّف من خلال نصّ مختصر ، بعض التّوضيحات عن أهمّيّة التّحكّم في التّفسير والحديث وعلم الفرائض إلخ . من جهة أخرى، ورغم اختصار الجزء الثّاني ، تمكّن المجّاوي أن يُذكّر أنّ اختلاف الدّين من موانع الميراث[71]. كمـا أنّـه ذكـر طرق الإكـتساب ، ويمكننا أن نـرى في هذه الجمـل إشـارة إلى الطّرق الّتي استعملها الإستعمار لإكتسـاب أملاك المسلمين (خاصة الأرض) من حراسة[72] ومصادرة[73] وغيرها من طرق غير مُعترف بها في الإسلام، علما أنّ قضيّـة ملكيّة الأرض كانت تشكّل المحور الأساسي ونواة كلّ العمليّـة الاستعماريّـة في شمال إفريقيا بصفة عامّة و في الجزائر بصفة خاصّة .

في الفصل الثّالث الّذي عنوانه « علم الأبدان» ، يقدّم الكاتب مختلف العلـوم الحديثة المفيـدة للإنسان، على رأسهـا الطّب وعـلوم الزّراعـة وتـاريخ وكمياء و علم الطّبقات الأرضية إلخ.... فبدأ المجّـاوي بذكر الطّب حيث كان المسلمون يُعانون من الأوبئة ما كاد يقضي عليهم . فذكّرهم المجّاوي أن هذا الفن ليس حكر الأوروبيّين بل هو علم يعرفه المسلمون منذ قرون، و الله يحثّ عباده على صيانة صحّتهم واستعمال الوسائل المناسبة للتّداوي[74].

71- ربّما استعمل المجّاوي هذه الصّورة لِما كـان بعض الرّهبـان يقومون به من «تمسيح» مجموعات من الأطفـال الأندجـان على نمط ما قـام به «لافيجري» في القرى المسيحيّة التّجريبيّـة. فهذه الممارسة من العوامل الّتي زادت من حدّة تمزّق الهيكل الاجتماعي للأهالي المسلمين.

72- séquestre

73- expropriation

74- و قد قام العـالِم محمّد بن مصطفى ابن الخوجة ، المدعو الكمال (1865 - 1915 م) بنشر كتاب «تنوير الأذهان في الحثّ على التّحرز و حفظ الأبدان» - 1896م - ، يوضّح فيه ظاهرة تراجع المسلمون على الإعتناء بصحّتهم ، و هو يأتي بنصائح قيّمة في هذا الموضوع . و قام بالتّطرّق إلى نـفـس الإشكال الطّبيب المُفكّر فرانتز فانون في كتابَيْـه :
« Les damnés de la terre » و « Sociologie d'une révolution » .

وآخر فصل من الكتاب خصّصه المؤلّف للمعاش، أي مختلف طرق كسب القوت ، و أهمّيّة هذه الظّاهرة غنيّـة عن التّعليق لما عرفته من تطــوّر في السّــنــوات الأخيــرة و لمــا كــان المسلمــون يُعــانــون من بطــالــة واستغلال ، وإفقار و تعبيد من طرف المعمّرين .

وأخيرا، يجب الإشارة إلى المقاطع الشّعريّة الأخيرة من كتيّب «إرشاد المتعلّمين»، حيث يبدو أنّها ليست من تآليف الشّيخ المجّاوي، الشّيء الّذي يؤكّد عليه طلبته في مراسلتهم الّتي توجد في الملاحق .

طَـوْر ظهوره ، أثــارَ هذا الكتــاب (الّذي نُشر في القــاهرة بمصر) جــدالا شــديداً في قسنطينة في صيــف و خريف سنة 1877م[75]. لا شك أن محلّلي الإدارة الإستعـمـاريّــة أدركـوا الأبـعــاد المختــلفــة لـهـذا الكـتيّب والأخطـار الكامنــة فيـه. فانــتقد بعضُ أنصارُ الاحتلالِ المدرّسَ عبـد القـادر المجّاوي وذمُّــوه إلى أن صــار يُهــاجَــم في الشّارع و يُشتَـم و يعـاني مختلـف التّهـديدات، فضلّ منزويا في بيته لا يمكـنه الخـروج منه لقضاء حاجاته. فأمام هذا الوضع المُقلق، المُحرج، وأمام الأخطــار الّتي أحاطـت بالمدرّس، إختـار هذا الأخير تَسْيِـيـس القضيّة وعرضـها امــام الجـمهور. فـاتّجه نحو الصّحـافة[76] ليُعبّـر عن انشغـاله ولـيَضع الإدارة الفرنسيّـة أمـام مسؤوليّـاتهـا. وبالفعل ، فـرَدّ فعل أعدائه كــان سريعــا، فلجـأ بعض أذنــاب الاستعمار إلى الشّكــوى والتّـهديـد عبر الجريـدة المحلّية مُتـمنّـين الرّمي بالشّيخ المجّــاوي في قيـود القضاء الفرنسي وأملا أن يُعـاقب و يُمنع من مواصلة عمله[77]. لـكنه واجه حَـملة التّـعنيف الّتي دبّرها الأعداء والخَوَنة وواصل جهاده المعنوي والفـكـري/السّيـاسي في تـلك المدينـة التي استَقبلته وفتحت له قلبها

75- الان كريستلو، نفس المرجع ، ص 439 .
76- عن طريق جريدة متعاطفة مع الأنديجان ، وع هي جريدة « L'indépendant»
77- أنظر آخر الكتاب ، بعض المراسلات الّتي نُشرت في جريدة « أ نــتيبْتنــت « القسنطينة»

وأبوابهـــا و جسورهـــا . فتدخّـــل بعض طلـبتـه النّجبـاء في مواجهـــة أعداء الأستـــاذ الّذين أرادوا اغتيـاله، وكذلك الإدارة الفـرنـسـيّة الّتي وجدت فرصة و طريقة جديدة لتـأطير وحصر هذا الأستـاذ المجازف[78].

هكذا تَمكّنَ من الاستمـرار في الإمامة والتّدريس والتّأليف وواصل مهمّته كعـالِم مسلم عربيّ وسط الأهالي في بلاد مستعمَرة، مواجها العدوّ الاستعماري وطُرقـه القمعيّة ومتحديا أذناب الاستعمار بيقظة فائقة ومهارة مبهرة.

فقبوله لتوظيفه من طرف الإدارة الفرنسية و تقبّـله لمنصب في مدرسة رسميّــة سمح له أن يساهم في تكوين عدد هائل من الطّلبة. فبالفعل، أنّ المدرسة الرّسميّة كانت آنذاك المركز الرّسمي لتكوين الموظّفين الّذين تستعمِلهم الإدارة الفرنسيّــة للتّكفّل بالإمامة و القضاء الشّرعي الخاصّ بالأوســـاط المســلمــة . فتـمكّـن بفضل هذا المنصب أن يُساهم في تكوين ومرافقة عد معتبَر من الأئـمّـة و القضاة و المدرّسين المسلمين و أن ينشر بينهم المبـــادئ و السّلوك الّتي كان يَسيـــر عليها و يراها مفيدة لهم . تمكّن من خلال مساره المهني و العلمي أن يؤلّف عدد معتبر من الكتب[79]، طبع البعض منها في الجزائر و البعض الآخر في تونس أو مصر.

فهكـذا إستطاع أن يزرع في قلوب طلّابه بذرة التّمسك بالهويّة والحفاظ عليها، وأن يُنمّـي فيَ أذهـان زملائـه روحــا مسلمة عربيّة، قويّة، مــاهـرة، نزيهة ، أصيلة .

وقد بدى هذا الجهاد على السّاحة السّياسية بالرّسالة المُعنوَنة :

« إرشاد[80] المُتعلّمين». وها هو نصّها.

78- آلان كريستلو، نفس المرجع ، ص 436

79- تجدون عناوين هذه المؤلّفات في آخر الكتاب ، مع الملاحق.

80- و الإرشاد ، اصطلاحا ، هو الوَعظ ، التّـوجيه ، الدّلالة ، الهـداية .
وفي الحديث: و إرشاد الضال أي هدايته الطريقَ وتعريفه.
و في علم النّفس ، هو توجيه نفسيّ إراديّ يقدّمه عالم نفس أو مختصّ بالتّربيّة لشخصٍ ما ، تمكينًا له من حلّ مشكلاته الشّخصيّة أو الفعلّيّة أو التّربويّة».

هذه رسالة ظريفة و نخبة لطيفة تسمّى:

إرشاد المتعلّمين

تأليف الحسيب النّسيب، إمام المحقّقين وحجّة المدقّقين
الشّيخ عبدالقــــادر بن عبدالله المجّـــاوي
المتوطّن بقسنطينة حرس الله كماله آمين

وهذا التّقريظ لوحيد عصره وفريد دهره السّيّد حامد سليق ، أحد فضلاء الشّام و علمائه المقيمين في مصر المحروسة :

قد اطّلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رقيقة، ومعاني رشيقة، وآداب فائقة، وحكم رائقة تدلّ على ما لمؤلّفها من البراعة التّامة، والمعرفة العامّة، تشهد له بخلوص النّيّة وحسن الطّوية الّذين ألجآه إلى نصح المسلمين وإرشاد المتعلّمين .



اقول بعد البسملة و الحمدلة و الصّلاة و التّسليم على صاحب الخلق العظيم، أنّ أشرف ما تميّز به الإنسان على سائر الحيوان، النّطق؛ ولا نطق إلّا بالعلم و لا علم بدون معلّم.

و لقد ساءني ما رأيت في هذا الزّمان من فتور المعلّمين و المتعلّمين حتى أنّ أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيّين و الجزائريّين والوهرانيّين قد تراكم عليهم الجهل[81]. فإذا تباعدوا ضبحوا ضبوح الثّعالب[82]، وإذا تقاربوا قبعوا قبوع القنافد . فهم كما قال الشّاعر:

حديث بني قرط إذا ما لقيتــهم كنــزْو الدُّبى في العَرفَج المتقارب

وسبب ذلك هو عدم اعتناءهم بالعلوم الّتي بها تهذيب أخلاقهم و إصلاح منطقهم . ولمّا رأيت بعض الطّلبة اللائذين بي لهم ميل إلى تعلّم بعض العلـوم الشّرعيّة والأدبيّـة، اردت أن أجمع لـهم رسـالـة في مبـادئ بـعض العلوم لتكـون لهم تبصرة يُهتـدون بهـا إلى العلوم الشّريفة وسمّيتها «إرشاد المتعلّمين»[83]؛ ورتّبتها على مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة .

81- هذه حوصلة قرابة أربعين سنة من السّياسة « التّجهيلية » في الجزائر

82- يشير المؤلّف إلى تقنية كان يستعملها المستعمر و ترتكز على تحويل الأهالي إلى كائنات تُشبه الحيوان. يستعمل هذا المفهوم المفكّر فرانتز فانون في كتابه « Les damnés de la terre » حيث يستعمل مصطلح « animalisation » للتعبير عن هذه الظّاهرة الإستعمارية الشّائعة و الّتي كانت تحطّ من قيمة الإنسان إلى أدنى درجات الإهانة و الذّلّ ليتمكّن المستعمر من فرض سيطرته و هيمنته عليه .

83- تطرّق الإمام برهان الإسلام الزّرنوخي إلى إشكالية التّعليم في كتابه « تعليم المتعلّم طريق التّعلّم». وقد يكون المجّاوي قد استوحى من هذا النّص القيّم للشّروع في العمل على رسالته .
http://www.calameo.com/read/000131910aac795d36966

أمّا المقدّمـة: ففي فضل العلم والتّعلّم وما يجب على كلّ شخص أن يتعلّمه.

وأمّا الفصول ،

- **فالأوّل:** في عـلوم اللّســان ،
- **والثّـاني:** في عـلوم الأديـان ،
- **والثّـالث:** في علوم الأبـدان ،
- **والرّابع:** في المعـاش .

أمّـا الخاتمة ، فتحتوي على آداب و أمثال و حِكم و بعض فصول و أبيــات ممّـا تمس الحــاجة إليــه .

المقدّمة

في فضل العلم والتّعلّم
وما يجب على كلّ واحد أن يتعلّمه

أعلم أنّ الحيوان جسم حيّ نام حسّاس ، متحرّك بالإرادة . وجميع أنواع الحيوانات من الفيل إلى الذّرة متقاربة في الحسّ والإدراك، ما عدا الإنسان، فإنّ الله فضّله على سائرها بالعقل والنّطق .

ومجرّد العقل و النّطق لا يفيدان الإنسان شيئًا وإنّما شُرّفا لكونهما واسطة لاكتساب العلوم الّتي هي نور العقل و مبنى الكلام .

ولو كان مجرّد النّطق يفيد الإنسان ما يحتاج إليه، لَشاركه البّبغاء مثلا.

وكذلك العقل، لو كان كافيا، لما احتجنا إلى رُسُل يأمر وننا بالمعروف و ينهوننا عن المنكر. وبناءً على ذلك ، نقول : إنّ الإنسان إذا أراد أن يجني ثمرة امتيازه عن بقيّة الحيوانات، يجب عليه أن يدأب في تحصيل العلوم التي عليها مدار المعاش والمعاد، ووقت تحصيلها من المهد إلى اللّحد.

قيل لأنوشروان[84]: أيحسن بالشّيخ أن يتعلّم؟
فقال : إذا كانت الجهالة تقبح منه ، فالتّعلّم يحسن به .
فقيل : و إلى متى؟
فقال : ما حسنت به الحياة.
ثمّ أنّ العلوم أكثر من أن يُحاط بها، فعلى العاقل أن يأخذ من كلّا حسنه.

84- كسرى الأول، أو خسرو انوشروان بن قباذ. اشتهر بعدله وبمشاريعه العمرانية كمسح الأراضي واصلاح نظام الضرائب . توفي عام 579 م . و« كسرى انو شروان» يعني «العاقل» أو«الروح العالية»

قالت العلماء : أوّل ما يجب على الإنسان أن يتعلّم، القرآن الشّريف أو ما تيسّر منه، ثمّ الحديث النّبويّ لانّه يليه في الفضيلة ، ثمّ علم الفرائض لأنّه ثالث علوم الدّين ، ثمّ علم الفقه لأنّه علم الحلال والحرام وبه العصمة في الدّين والزّينة في الدّنيا.

وينبغي له أيضا أن يتعلّم علوم العربيّة كالنّحو والصّرف والبيان واللغة وغير ذلك، وكذلك المنطق الّذي به العصمة عن الخطأ في الفكر، وعلم الطّبّ الذي به حفظ الصّحّة ومعالجة الأسقام، وعلم الكتابة والحساب والهندسة والزّراعة والمساحة والجغرافية والهيئة وعلم الرّماية والسّباحة والفروسيّة، وغير ذلك من العلوم الّتي هي صفة كمال الإنسان .

وعلى المتعلّم أن يختار معلّما عالما بحقائق الأشياء مجدّا فصيحا. ويجب عليه أن يراعي حقوقه.

قال بعضهم :

رأيت أحق الحقّ حق المعلّم وأوجبه حفظا على كلّ مسلم
لقد حقّ أن يهدى أليه كرامة لتعليم حرف واحد ألف درهم

ونظّم بعضهم شروط تحصيل العلم بقوله :

ألا لن تنال العلم إلّا بستّة سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة وإرشاد أستاذ و طول زمان[85]

85- للإمام الشافعي رحمه الله،
أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفاصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة استاذ وطول زمان

الفصل الأوّل

في علوم اللسان

أعلم أنّ اللغة العربيّة هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها. وفضلها على غيرها يشهد به كل من يعرفها ولو كان أعجميا. فهي أفصح اللغات منطقا وبيانا وأكثرها تصرّفا في أساليب الكلام وأقبلها تفنّنا في النّثر والنظام. قد ملأها الله من الآداب والحكم، فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها، وهي في الشّعر لا يشق لها غبار ولا يباريها مبار. وقد انتشرت في أقطار البسيطة بانتشار الإسلام، فدخل منها في كلّ لغة نصيب ولا سيما اللغة الفارسيّة والتّركيّة والهنديّة؛ فإنّ هذه اللغات قد تحسّنت واكتسبت بها رونقا بهيّا ؛ ثمّ أنّ اللغة العربيّة مأخوذة في الأصل من جملة لغات قديمة كاللغة العبرانيّة والسّريانيّة ولسان الصّوريّين ولسان قدماء العراق. وهي متّسعة جدا، حتّى أن الشّيء الواحد ربّما سُمّي فيها بأسماء عديدة وذلك كالبعير فإن له ألف اسم والأسد خمسمائة .

وتنقسم علوم العربيّة (وإن شئت قلت علوم الأدب) إلى اثني عشر قسما نظّمها بعضهم بقوله :

صرف بيان معاني النّحو قافية ... شعر عروض اشتقاق الخطّ إنشاء

محاضرات وثاني عشرها لغة ... تلك العلوم لها الآداب أسماء[86]

وسأذكرها مفصّلة على هذا الترتيب :

- أمّا **الصّرف:** فهو تحويل الأصل الواحد (وهو المصدر) إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلّا بها، و هو يتعلّق بالأفعال

86- : للسجاعي في حاشيته على شرح القطر الندى ؛ هو إمام شافعي، فقيه ، أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي الازهري مصري . (توفي في 1197 هـ).

المتصرّفة والأسماء المتمكّنة أيضا من حيث التّثنية و الجمع والنّسبة والتّصغير. والصّرف ينظر في أبنية الكَلِم من حيث السّلامة والإعلال و الهمز والتضعيف و الزّيادة والتّجريد .

- **وأمّا البيان:** فهو علم بأصول ، يعرّف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الوضوح في الدّلالة على ذلك المعنى، يعني بعضها أوضح من بعض مثال ذلك، إذا أردت أن تصف زيدا بالكرم، تقول: زيد حاتم، و زيد كحاتم، و زيد كثير الرّماد، و زيد جبان الكلب.

وطرق البيان ثلاثة:

الأوّل: المجاز، و هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لمناسبة وقرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي.
والثّاني: الكناية، و هو ما يطلق من الكلام و يراد به لازم معناه .
والثّالث: التّشبيه، وهو الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في أمر بالكاف ونحوها، وأركانه أربعة. والحقيقة ليست من طرق البيان عند أكثر القوم.

- **وأمّا المعاني:** فهو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي الّتي بها يطابق الكلام مقتضى الحال. و هذا العلم أفضل العلوم العربيّة لأنّ به يعرف إعجاز القرآن و بلاغته، وفائدته فهم الخطاب وإنشاء الجواب بحسب المقاصد و الأغراض، جاريا على قوانين اللغة في التّركيب. وحَصروا مطالب هذا الفنّ في ثمانية أبواب:

الأوّل: الإسناد الخبري
والثّاني: أحوال المسنَد إليه
والثّالث: أحوال المسند
والرّابع: أحوال متعلّقات الفعل
والخامس: القصر

والسّادس: الإنشــاء

والسّابع: الفصل والوصول. وهذا الباب هو أدقّ أبواب هذا العلم حتّى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال: «هي معرفة الفصل و الوصل».

والثّامن: الإيجاز والإطناب والمساواة .

ولكل من ذلك أمثلة وأحكـام ليس لهـا محلّ هنـا.

ويتبع عِلمَيْ المعـاني والبيـان علم آخر يُسمّى علم البديـع، ووظيفتـه تحسين الكلام، وينقسم هذا العلم إلى محسنات لفظيّـة ومحسنات معنويّـة .

فمن **المُحسِّنـات اللفظيّـة:** الجناس و رد العجز على الصّدر، و مـا لا يستحيـل بالانعكـاس، و السّجـع ، و الموازنـة ، و لزوم مـا لا يلزم .

ومن **المحسّنات المعنويّة:** التوريّة، والإيهام، والتّوجيه، والاستخدام، ونفي الشّيء بإيجـابه، والقـول بالموجب، والتّلميح، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، و تجاهل العارف وغير ذلـك.

وتـفـاصيل مـا أجملتـه هنـا هي المبحوث عنهـا في كُـتـب هـذا الفـنّ ك «خزانـة الأدب»[87] لابن حجة[88] وغيرهـا .

- **أمّا النّحو:** فهو علم بأصول يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا و بنـاءً، و فـائدتـه الاحتراز عن الخطأ في الكلام، إذ لو لا الإعراب ، لالتبس بعض الكلام ببعض .

مثلا، إذا قلت ناهيًا : «لا تأكل السّمك وتشرب اللبن» فإنّك إذا رفعت «تشرب»، يدلّ على النّهي عن الأوّل وإبـاحة الثّـاني . و إن نصبته ، يدلّ على النّهي عن الجمع بينهمـا . و إن جزمته ، يدلّ على النّهي عنهما جميعا.

87- أحد مؤلفات بن الحجة.

88- هو تقي الدّين بن حجة الحَمَوي ، وُلد سنة 767 هـ و توفي سنة 837 هـ . أديب و شاعر سوري ماهر

فقد تلاعب الإعراب بالمعاني و الألفاظ جميعا كما تلاعب في قولهم: «ما أحسن السّماء»، ويُقال أنّ هذا المثال هو الّذي حرّض أبا الأسود الدؤلي[89] على وضع علم النّحو والحكاية مشهورة .

قال أبو عثمان الصيرفي يصف النّحو:

النّحو زينٌ للفتى يكرمه حيث أتى ... من لم يكن يعرفه فحقّه أن يسكتا

- وأمّا القافيّة: فهي علم تُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشّعريّة من حركة وسكون ولزوم و جواز وفصاحة و قباحة. وفائدة هذا العلم الاحتراز عن الخطأ في القافية. والقافية عند واضعه الخليل بن احمد[90] هي عبارة عن السّاكنين اللذين في آخر البيت وما بينهما من الحروف المتحرّكة ومع المتحرّك الّذي قبل السّاكن الأوّل .

وتنقسم القافية باعتبار الحروف المتحرّكة بين السّاكنين إلى خمسة أقسام ، نظّمها الصّفيّ الحلّي بقوله :

حصر القوافي في حدود خمسة ... فاحفظ على التّرتيب ما أنا واصف

متكاوس متراكب متدارك ... متواتر من بعده المترادف[91]

وتنقسم القافية أيضا إلى مطلقة و مقيّدة .

ومن عيوب القافيّة الإيطاء ، و هو تكرارها بلفظها قبل مضيّ سبعة ابيات ، والتّضمين، وهو تعلّقها بالبيت الّذي بعدها .

وهذا العلم سهل جدّا ، فراجعه .

89- أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان , المدعو «ملك النّحو» ، يتّفق معظم العلماء على أنّه أوّل من وضع علم النحو ، وضع النقاط على الأحرف العربيّة . توفي سنة 69 هـ. يُقال أن حوارا مع ابنته جعله يهتمّ بتأسيس علم النّحو حيث خاطبته قائلة : « ما أجملُ السماء « (بضم اللام) فأجابها : « نجومها « . فردت عليه أنها كانت تتعجّب من جمال السّماء فقط ، ولم تكن تطرح على أبيها أيّ سؤال.
و نرى أن المجّاوي يكتب «ما أحسن « و ليس «ما أجمل « ، و آخرين يقولون أن بنت أبو الأسود تعجّبت من الحر قائلة : « ما أشدّ الحرّ «. فالرّوايات عديدة و المغزى واحد.

90- هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (100 هـ - 173 هـ) ، عالم في اللغة العربية و من أعظم أساتذة عصره في هذا المجال.

91- للشاعر العربي صفيّ الدّين الحليّ (675 هـ - 750 هـ)

- **وأمّا الشّعر**(وإن شئت، قلت القريض): فهو علم يُبحث فيه عن أحوال الأبيات الشّعريّة، لكن ليس من جهة الوزن والقافية بل من جهة الجودة و الرّداءة ، والحسن والقبح ، من حيث كونها شعرا. وغرضه أن يعرف الإنسان كيفيّة النّظم وترتيبه، والاقتدار على إنشاءه على قانون البلاغة ؛ وهو علم جليل الشّأن، عظيم الوقع .

قال الشّاعر[92]:

ولولا خلال سنّها الشّعر ما دَرَت　　　بغاة العلى مِن أين تُؤتى المكارم

و لقد أجاد من أوصى حسان بن ثابت بقوله:

«عليك بمعرفة الشّعر ومدارسته فإنّه أشرف للآداب وأكرمها وأنورها، به يسخو الرّجل و به يتظرّف، و به يجالس الملوك و به يُخدم و بتركه يتّضع».

وقسّموا فنون الشّعر إلى عشرة أقسام حسبما بوّب ابو تمام الطّائي في الحماسة. و قال عبدالعزيز بن الاصبغ الّذي وقّع لي أنّ فنون الشّعر ثمانية عشر فنّا، و هي : غزل، و وصف، وفخر، ومدح، وهجاء، وعتاب، واعتذار، وأدب، وزهد، وخمريّات، ومراثي، وبشارات وتهاني، و وعيد، و تحذير و تعريض، وملح ، وباب معدٌّ للسؤال والجواب. وقسّموه أيضا إلى خمسة أقسام:

- **مرقص**، كقول أبي جعفر طلحه، وزير سلطان الأندلس :

والشّمس لا تشرب خمر النّدى　　　في الرّوض إلا من كؤوس الشّقيق

- **ومطرب**، كقول زهير[93]:

تراه إذا ما جئته متهلّلا　　　كأنّك تعطيه الّذي أنت سائله

92- أبو تمام الطائي
93- زهير بن أبي سلمى (502 م – 609 م) في قصيدة « كأنّك تعطيه الذي أنت سائله»

- **ومقبول**، كقول طرفة بن العبد[94]:

ستبدي لك الأيّام ما كنت جـاهلا ويأتيـك بالأخبار مَـن لم تـزوّد

- **ومسموع**، وهو ما يقوم به الوزن دون أن يمجه الطّبع كقول ابن المعتز[95]:

سقى الجزيـرة ذات الظّلّ والشّجر ودير عبـدون هطـال من المطر

- **ومتـروك**، وهو ما كان كلاً على السّمع والطّبع، كقول بعضهم :

فقلقلت بالهمّ الّذي قلقل الحشى قـلاقـل عيس كـلّهنّ قلاقـل[96]

- **وأمّـا العـروض**: فـهـو علم بـأصول يـعرف بـه الصّحيح والفـاسـد من أوزان الشّعر المعتبرة في البحور السّتّة عشر على رأي الأخفـش[97]؛ و موضوعـه الشّعر من نـاحية صحّـة وزنه و سقمه، وواضعه الخليـل[98] كالقــافية ، فقد حصر أشعار العرب في خمس دوائر واستخرج منها خمسة عـشر وزنـا سمّى كل وزن منهـا بحرًا، نظّمها بعضهم على ترتيبها بـقـولـه:

طويـل مديـد فالبسيط فـوافـر فكـامـل أهـزاج الأرازيـج أرمـلا
سريـع سراح فالخفيـف مضـارع فمقتضـب المجتثّ قارب لتفضلا

وزاد الأخفش بحرا استخرجه من دائرة المتقارب وسمّاه المتدارك. والأوزان الشّعـريّة مركّبة من التّفاعيل، والتّفاعيل مركّبة من أسباب وأوتاد وفواصل. والطّوارئ الّتي تطرأ على الأوزان الشّعريّة تنقسم إلى قسمين : زحافات وعلل.

94- هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد أبو عمر (539م – 564 م) ، من شعراء المعلّقات . و هذا هو البيت 111 من معلّقته.
95- هو الخليفة العبّاسي عبدالله ابن المعتز بالله (861 م – 909 م أي 247 هـ - 296 هـ)، أديب و شاعر لقّب بالمرتضي بالله و بخليفة يوم و ليلة.
96- للشّاعر الحكيم أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد الجعفي الكوفي المعروف بأبي الطّيب المتنبّي (915 م _ 965 م أي 303 هـ - 354)، في قصيدة « قفا تريا و دقّي فهاتا المخايل » ، البيت 7.
97- هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط أو بإمام النّحو، و هو عالم بالأدب و اللّغة، و الشّعر كما أنّه ألّف كتاب « معاني القرآن» و «الأوسط في النّحو». توفي 215هـ.
98- هو أبو عبدالرّحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (718 م – 790 م أي 100 هـ - 173 هـ) ، كان يتّصف بالعلم الفائض و الذّكاء و الاهتمام الكبير باللّغة العربيّة. كما أنّه كان يتّسم بالزّهد و الصّبر على مشقّات الحياة. من مؤلّفاته : «كتاب العين» و «العروض» و «الشّواهد» و «معنى الحروف»....

و قد جمع بعضهم أسماء الزّحافات في قوله :

زحاف الشّعر قبض ثمّ لفت　　بهنّ الأحرف الأخرى تخصّ
و خبن ثمّ طيّ ثمّ عصب　　وعقل ثمّ إضمار ووقص

- **وأمّا الاشتقاق:** فهو علم تعرف به أصول الكلام و فروعه ، فائدته التّمييز بين المشتقّ و المشتقّ منه . وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

- صغير
- وكبير
- وأكبر؛

فالصّغير هو الّذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق وهو الحكم بنسبة لفظ إلى آخر مأخوذ منه ، كالحكم أنّ النّاطق مأخوذ من النّطق. وأمّا الكبير، فالحكم بأنّ الجبذ أصله الجذب ، وهذا لا ترتيب في حروفه ، و أمّا الأكبر، فكالثلم والثلب .

- **وأمّا علم الخطّ:** فهو الرّسوم والأشكال الحرفيّة الدّالّة على الكلمات المسموعة، والدّالّة على ما في النّفس[99]. وهذه الصّناعة شريفة جدّا و هي من خواص الإنسان و كثيرة النّفع عند جميع الأمم . ومن أوصافها أنّها روح المعاملات وإحضار الماضي ورسول الغائب ونصف المشاهدة، وهي معروفة من قديم الزّمان إلّا أنّها كانت متعسّرة لعدم وجود ما يُكتب عليه. فلمّا اخترعت العرب الكاغد[100]، سهُلت وتحسّنت. ومن ذلك الوقت أخذت العلوم في الانتشار ولمّا ظهرت صناعة الطّباعة، زادت الفائدة ورخُصت أسعار الكتب. وتطلق الكتابة في اصطلاح الأدباء على صناعة الإنشاء ، فيقال : « فلانٌ كاتب» أيّ منشئ ناثر.

99- عبدالرّحمان ابن خلدون: «مقدّمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر»، الفصل الثلاثون : «في أن الخط و الكتابة من عداد الصّنائع الإنسانية» . دار النّشر إحياء التراث العربي - لبنان ، ص 417.

100- نفس المرجع ، ص 421 ، الفصل الحادي و ثلاثون،» في صناعة الوراقة»،

- **وأمّا الإنشاء:** فهو علم يعرّف به كيفيّة إنشاء النّثر الحسن اللائق بالمقام بعبارات لطيفة وأنواعه هي: الأمر والنّهي، والاستفهام والتّمنّي والتّرجّي والعرض والتّحضيض والنّداء والقسم والتّعجّب. وأفعال المدح و الذّم و صيغ العقود كَبِعتُ واشتريت، وهي الأشهر فيها. ولا يوجد علم من العلوم إلّا و هو يحتاج إلى صناعة الإنشاء، وعلى الخصوص علم التّاريخ الّذي لولاه لما اطّلعنا على أخبار من قد سلف، وإنّما قلت ذلك لأنّ موضوع علم التّاريخ الأشخاص الماضية من الأنبياء والعلماء والملوك والسّلاطين والوزراء والحكماء وغير ذلك من أحوال الطّوائف والأمم الماضية وبلدانها ورسومها وعاداتها وصنائعها وأنسابها. وفائدة هذا العلم : الاعتبار بأحوال من سلف والانتصاح بهم .

ولنرجع إلى ما نحن بِصَدَده .

قال بعضهم: «إذا كانت علوم العربيّة دوحة، فالإنشاء ثمرها؛ فهو قطب مدارها و معصم سوارها وواسطة عقدها و نظامها». وأوّل من بسط من العرب باع البلاغة في الإنشاء، عبد الحميد[101]، كاتب آخر ملوك بني أمَيّة[102] في الشّرق، حتى ضُرب به المثل في الكتابة. قال البحتري[103] يمدح ابن الزيات الوزير:

قد تفنّنت في الكتابة حتى   عطل النّاس فنّ عبد الحميد

ومن غرر كلام عبد الحميد: «القلم شجرة ثمرها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة». وهذا العلم يحتاج صاحبه إلى معرفة القرآن الشّريف والحديث واللغة والنّحو والمعاني والبيان والبديع وأمثال العرب وأيامهم، وكذا تواقيع الخلفاء والوزراء وتراكيب

101- هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري المعروف بعبد الحميد الكاتب، من أبرز الكتّاب في تاريخ النّثر عند العرب ، عمل ككاتبا إلى جانب الخليفة الأموي مروان بن محمّد حتى وفاته سنة 132 هـ .
102- مروان بن محمد الأموي القرشي (72 هـ - 132 هـ) .
103- هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، وُلد سنة 206 هـ ،توفي سنة 284 هـ.

الكتّاب و مقاصدهم في فنون التّهاني و التّعازي و المغازي ، و الفتوحات و نحو ذلك . و الحاصل أنّ هذا العلم من أجلّ العلوم فإنّه يرفع صاحبه إلى مراتب الملوك و يكون مكروما به حيثما كان.

- **وأمّا المحاضرات:** فهو علم تحصُل به الملكة على إيراد كلام الغير بما يناسب المقام. و هذا العلم من العلوم المعتبرة جدّا، فقد قيل :

«خير العلم ما حاضرت به و لا خير في علم لا يعبّر بك الوادي ولا يعمّر بك النّادي». ومن لا يتحلى في مجالس اللهو إلا بمعرفة اللغة والنّحو، كان من الحصر صورة ممثّلة وبهيمة مهملة. وقد وصف بعضهم المحاضرات بقوله :

الجدّ والهزل في توشيح لحمتها والنّبل والسّخف والأشجان والطرب[104]

- **وأمّا اللغة:** و هي الثّانية عشر من أقسام الأدب المذكورة في البيتين المتقدّمين ، فهي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم. والأولى أن تُحدّ هنا بأنّها علم يُبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها عن معانيها بالمطابقة .

قال بعض الحكماء: « اللغة أركان الأدب، والشّعر ديوان العرب، و لولا اللغة ، ذهبت الآداب، و لولا الشّعر ، بطلت الأحساب.» وذهب بعضهم إلى أنّها فرض عين لتوقف العينيّات عليها.

قال المُناوي[105]: «مِن منافع اللغة التّوسع في المخاطبات والتّمكّن من إنشاء الخطب والرّسائل والنّظم و النّثر. ومن عجائبها التّصرّف في تسمية الشّيء الواحد بأسماءٍ مختلفة لاختلاف الأحوال، كتسمية الطّفل من بني

104- من تأليف حبيب بن أوس بن الحارث الطّائي ، أبوتمام ، (803 م- 845 م أي 188 هـ 231- هـ) ، من كبار شعراء العصر العبّاسي،

105- هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، الشّافعي. ولد سنة 952 هـ وتوفي سنة 1031 هـ. تميّز بغزارة علمه في الدّين و الفنون.

آدم ولدا، ومن الخيل فلوا، ومن الإبل فصيلا، ومن البقر عجلا، ومن الغنم سخلا وعنـاقـا، ومن الغـزال خشفـا، و من الكلب جـروا، و من السّبع شبلا وهلم و جرا؛ وكتسمية ساعات النّهار بأسماء مختلفة، وهي الذّرور، للسّـاعة الأولى من طـلوع الشّمس ثمّ البـزوغ ثمّ الضّحى ثمّ الغـزالـة ثمّ الهـاجـرة ثمّ الزّوال ثمّ الدّلـوك ثمّ العصـر ثمّ الأصيل ثمّ الصبوب ثمّ الحدور ثمّ الغروب ، وهي آخر ساعات النّهار. ولهذه السّاعات أسماء أخرى أيضا.

هـذا مـا سـمـح بـه القـلم من الجـري في ميـدان هـذه العـلـوم الجـليـلـة ، و المقصود بذلك أن تكون هذه الرّسالة سهلة التّناول على إخواننا الطّلبة .

و الله الموفق.

الفصل الثّـاني
في علـوم الأديـان

اعـلم أنّ الدّيـن عنـد الله الإسـلام .
وأركـانه كمـا قـال عليه الصّلاة و السّلام : « بُني الإسـلام على خمس : شهادة انّ لا إله إلّا الله ، و اقـام الصّلاة ، و ايتـاء الزّكـاة ، و صوم رمضان وحجّ البيت من استطـاع إليـه سبيلا».

فيجب على كـل شخصٍ أن يعـتقـد أنّ الله مـوجـودٌ و منزّه عن كل النّقـائص : « لَيـس كمِثلِه شيءٌ و هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ» [الشورى، 11]، وصفـات الله تعـالى منـقسمـة إلى أربعـة أقسـام :

القسم الأوّل: نفسيّـة، وهـو الوجود الواجب ، وهـذا معنى قـولهم : «مـوجود لا لعلة».

والقسم الثّاني: سلبيّـة ، وهـو خمس:
- القِدم
- والبقاء
- والمخالفة للحوادث
- وقيـامه بنفسـه ، أي لا يحتـاج إلى غيـره .
- والوحدانيّة في ذاتـه وفي أفعـاله أي الخير والشّرّ كلّه فعله «لا يُسئل عمّا يَفعلُ و هُم يُسئلون» [الانبياء ، 23] .

والقسم الثّالث: صفات المعاني وهي سبع : القدرة والإرادة و السّمع والبصر و الحياة و العلم و الكلام .

والقسم الرّابع: وهو الصّفات المعنويّة ، وهي ملازمة لصفات المعاني. وهي كونه قادرا ومريدا وسميعا وبصيرا وعالما وحيّا ومتكلّما.

فهذه عشرون صفة تجب الله تعالى ويستحيل عليه اضدادها العشرون أيضا ، فالجملة أربعون وما كان غير الواجب والمستحيل فهو جائز، فيجوز في حقّه تعالى فعل كل ممكن وتركه. وأدلّة جميع ذلك مفصّلة في محالها.

وينبغي للمكلّف أيضا أن يعرف التّفسير لأنّه متعلّق بكلام الله تعالى، وهو علم تعرف به معاني كلام الله من الأوامر والنّواهي وغيرهما. وواضعه الإمام مالك بالإسناد على طريقة الموطأ، وحكمه الوجوب الكفائي .

والتّأويل و التّفسير بمعنى واحد عند أبي عبيدة و طائفة و أنكر ذلك آخرون حتى بالغ ابن حبيب[106]، فقال : « نبغ في زماننا مفسّرون لو سُئلوا عن الفرق بين التّفسير و التّأويل ، لما اهتدوا إليه».

وينبغي له أيضا أن يعرف الحديث دراية و رواية ، فينقل ما أضيف إليه صلّى الله عليه و سلّم قولا أو فعلا أو تقريرا، و يعرف حال الرّاوي و المروى من حيث القبول و الرّدّ ؛ وواضعه ابن شهاب الزّهري[107] بأمر عمر بن عبد العزيز[108] بعد موت النّبيّ صلى الله عليه وسلّم بمائة سنة. ولولاه، لضاع الحديث، ولذلك دخل فيه الضّعيف والشّاذ. ولو كُتِب في زمنه عليه الصّلاة والسّلام لكان مضبوطا مثل القرآن، وحكمه الوجوب الكفائي .

106- هو بن حبيب النيسابوري ، توفي سنة 406 هـ أديب و مفسر .
107- محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزّهري ، ولد سنة 58 هـ
108- خامس الخلفاء الرّاشدين، (61 هـ - 101 هـ)

وينبغي له أيضا أن يعرف علم الفرائض، وهو علم بأصول يعرف به قسمة التّركات ومستحقوها وانصباؤهم منها. وأسباب الميراث ثلاثة مُجمع عليها، وهي النّكاح و الولاء والنّسب ، والرّابع مختلف فيه وهو بيت المال. ولا يرث إلّا بشروط. ويمنع الشّخص من الميراث الرّقّ والقتل واختلاف الدّين. وهذا العلم ضروريّ للإنسان .

وينبغي له أيضا أن يعرف علم أصول الفقه، وهو علم بأصول يُعرف بها أدلّة الفقه الإجماليّة ، وطرق استفادة جزئياتها و حال مستفيديها، وواضعه الإمام الشّافعي[109]. وحكمه الوجوب الكفائي. وعدد الأدلّة الّتي استدلّ بها مجموع الأئمّة الأربعة ، سبعة: الكتاب والسّنّة و الإجماع و القياس عند جميعهم، والاستحسان عند أبي حنيفة واستصحاب الأصل عند الشّافعي، والمصالح العامّة عند الإمام مالك . وهذا العلم من أشرف العلوم وناهيك أنّ علماءه حكام العلماء، وما أجدرهم بهذا البيت :

وننكر إن شئنا على النّاس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول[110]

ويجب على المكلّف أن يعرف من الفقه ما تقوم به عباداته ومعاملاته. وهو علم بأحكام شرعيّة عمليّة مكتسبة وأدلّتها التفصيليّة. وواضع هذا العلم النّبيّ صلى الله عليه و سلّم ؛ وأوّل من صنّف فيه أبو حنيفة، وموضوعه فعل المكلّف من حيث أنّه معروض للأحكام الخمسة الّتي هي الوجوب والنّدب والإباحة والحظر والكراهة. وبهذا العلم يعرف الإنسان حلال طرق الاكتساب وحرامها[111]. وطرق الاكتساب ستّة ، وهي البيع والرّبا والسّلم والإجارة والقراض والشّركة .

109- محمد بن إدريس الشافعي القرشي (150 - 204 هـ)

110- بيت مستخرج من لامية للشاعر العربي عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

111- من جهتنا، نعتبر أن الشيخ المجاوي أشار إلى طرق الاكتساب لا للكلام عن اكتساب القوت بل يشير بطريقة موارية إلى الطرق التي يستعملها الاستعمار لتجريد القبائل من أراضيهم و الاستيلاء عليها . ففي تلك الفترة ، كان نقل ملكية الأرض من الجزائريين إلى المستعمرين يشكل صميم الإشكالية الاستعمارية.

الفصل الثّالث
في علوم الأبدان

اعلم أنّ الإنسان عرضة للآفات ومركز للأمراض، فأقلّ شيء يغيّر مزاجه و يلجئه إلى علاجه. فيجب على كلّ شخص أن يعرف من الطّبّ ما يحفظ به صحّته و يدفع به مضرته. وعرّف بعضهم الطّب بقوله: هومعرفة الدّاء وتلقّيه بالدّواء[112]. وقيل: «هو استدامة الصّحّة ومرمة السّقم». وهو ينقسم إلى طبّ بشري وغيره، وهذا ينقسم إلى بَيْطرة وهي معالجة أمراض الخيل، والزّردقة وهي معالجة أمراض الطّيور .

وعلم الطّبّ مأخوذ في البداءة من الاستقراء والتّجارب. وأوّل من صنّف فيه بقراط[113] اليوناني؛ وقيل :

- « إنّ الطّبّ كان معدوما، فأوجده بقراط،
- وكان ميّتا ، فأحياه جالينوس[114]،
- وكان متفرّقا ، فجمعه الرّازي[115]،
- وكان ناقصا فكمّله ابن سينا»[116].

والظّاهر أنّ هذا باعتبار الأزمنة السّالفة، وأمّا الآن، فقد بلغ علم الطّب إلى درجة فوق ما كان يعهده ابن سينا .

112- أمّا ابن سينا، فانّه يقول في «قانون الطب»، الفصل الثاني في موضوعات الطّب : « فهذه موضوعات صناعة الطّبّ من جهة انّها باحثة عن بدن الإنسان انه كيف يصحّ و يمرض. وأمّا من جهة تمام هذا البحث وهو ان تحفظ الصّحة و تزيل المرض »

113- فيلسوف وطبيب يوناني، وُلد حوالي سنة 460 قبل الميلاد بجزيرة قوس اليونانية.

114- فيلسوف وكاتب يوناني، (130 م — 200 م). له عدد مبهر من المؤلفات في ميدان الطّب والتشريح.

115- هو أبو بكر محمد الرّازي ، وُلد سنة 250 هـ أي حوالي 864 م ، درس الفلسفة والرّياضيات والطّب و بعض العلوم المتعلّقة بالطّب كالكيمياء والأعشاب فعمل بالطّب في مستشفيات عصره وكذلك في كليّة الطّب ببغداد. توفي سنة 311 هـ.

116- هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم فيلسوف وطبيب ، وُلد ببُخارى في اوزبكستان سنة 370 هـ أي 980 م. توفي سنة 427 هـ بهمدان (إيران). صاحب تأليف عظيمة منها : «القانون في الطّب» و«ارجوزة في الطّبّ»

قال بعض المسيحيّين: «لمّا كانت العرب مجتهدة بغاية الجدّ والاجتهاد في دراسة هذا العلم وغيره كالفنون الهندسيّة والفلكيّة والكيماويّة والنّباتات والمنطق والطّبيعيّات وفي التّقطير وصناعة التّخمير، كانت الإفرنج غارقين في بحور الجهالة وسوء الحالة. فلمّا انتشبت الحروب الصّليبيّة بينهم و بين المسلمين ومكثت مدّة طويلة بحيث هلك فيها من المسيحيّين أكثر من مليونين، وكانت في أثناء تلك المواصلة بين الأقطار الشّاميّة وبين أوربّا عموما، فاكتسبت الإفرنج من المسلمين التّحسينات، وأخذوا في أسباب التّمدّن الّذي كان عليه العرب في ذلك الوقت ولا زالوا يزدادون شيئاً فشيئاً إلى أن بلغوا إلى هذه الغاية الّتي أتقنوا فيها الفنون والصّنائع، وعلى الخصوص فنّ الطّبّ».

قيل: «ولو لم يقم شاهد على إتقانهم الطّب إلا كثرتهم في هذه الأيّام الأخيرة لكفى، فإنّ من الطّبّ من يعتني بتربية الأطفال في حالة الصّغر ليسلموا من العوارض، ويشبّوا سليمي الأعضاء، حسان الصّور.»

وهذا العلم مقدّم على سائر العلوم حتى على علوم الدّين لتوقفت القيام بها عليه كما قال الشّافعي[117]. وفي هذا العصر، لا يُسمّى الإنسان طبيبًا ما لم يتقن عدّة علوم، منها : الطبيعة والتّاريخ الطّبيعي أي علم المواليد الثّلاثة، وعلم الكيمياء بأنواعه، وعلم التّشريح ، و علم الأمراض بأنواعها سواء كانت باطنيّة أوجلديّة أو رمادية، و علم قانون الصّحّة.

أمّا علم الطّبيعة، فهو علم يُبحث فيه عن الخواص الجسميّة الّتي تخصّ الأجسام من حيث كونها كتلاً كالأبعاد الثّلاثة اي الطّول والعرض والعمق؛ وكالتّجزّي والتّشكّل وعدم التّداخل، وكون الجسم ذا مسام وقبوله للضّغط والمطّ والحركة والسّكون وغير

117- هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي (150 – 204 هـ)

ذلك. ويُبحث فيه أيضًا عن الألوان والرّوائح وسريان الصّوت في الهواء وغيره ، وعن أصناف الموازين المختلفة ، وعن القباب الطّيارة وعن كيفيّة العوم وجذب الماء من الآبار وغيرها. ويُبحث فيه أيضا عن المغناطيسيّة ، والكهربائيّة وسيرها في أسلاك الإشارة، وعن الكائنات الجوّيّة مثل الضّباب والسّحاب والنّدى والطّلّ والصّقيع و المطر والثّلج و البرد، وعن الفجر والشّفق وقوس قزح والسّراب والهالات، وعن الرّعد والصّواعق، والشّهب والحجارة السّاقطة من الجوّ، وعن الرّياح المنظّمة الدّوريّة والعواصف و الزّوابع و غيرها .

وأمّا علم التّاريخ الطّبيعي، فهو علم يُبحث فيه عن الحيوانات والنّباتات وعن الطّبقات الأرضية وكيفيّة تكوّنها ، وما يوجد فيها من المعادن .

وأمّا علم الحيوانات، فيبحثون فيه أوّلا عن تشريحها وهيكلها العظمي وجهازها الهضمي، وعن كيفيّة دورة دمها وكيفيّة احساسها؛ ثمّ يقسّمونها إلى ذوات أرجل و طيور وزواحف وأسماك وإلى أنواع وفصائل وغير ذلك فمنها ما يُستعمل غذاءً و منها ما يُستعمل دواء، ومنها ما فيه مادّة سمّيّة .

و أمّا علم النّبات، فيُبحث فيه عن التّشريح النّباتي أيضا وعن كيفيّة تغذية النّباتات وتلقيحها و تطعيمها وعن الفرق بين الذّكر والأنثى ثمّ يقسّمون النّباتات إلى أقسام وفصائل ورُتب ، وعن كيفيّة استخراج الأدوية منها. فإنّ أكثر الأدوية الموجودة في بيت الدّواء مأخوذة من النباتات .

وأمّا علم الطّبقات الأرضيّة وما يوجد فيها من المعادن، فهو علم نافع جدًا في فنّ الطّبّ الذي يحتاج إلى مركّبات معدنيّة، وغير معدنيّة .

وأمّا علم الكيمياء، فهو علم يعرف به كيفيّة تحليل الأجسام وتركيبها لا عمل الذّهب والفضّة كما يزعمه بعض من لا علم له. و هذا العلم هو الأساس المتين لكثير من العلوم والصّنائع و لاسيما الأطبّاء ، فهم أحوج النّاس إليه، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام : كيمياء معدنيّة ، و غير معدنيّة و كيمياء عضويّة (أي حيوانيّة و نباتيّة).

وأمّا التّشريح، و هو أصعب علوم الطّب و عليه مدارها. فهو علم تعرف به أجزاء الإنسان التي يتركّب منها بالتّفصيل بغاية الدّقّة؛ وتُعرف به أيضًا منافع الأعضاء والتّشريح الخاصّ، وهو المعروف بعلم الجراحة وعلم الأربطة والعمليّات الجراحيّة .

وأمّا علم الأمراض الباطنية[118]، فهو علم يُبحث فيه عن جميع الأمراض الباطنيّة ومراكزها وعلاماتها وأسبابها ، وبه يُعرف مزاج المريض وما يجب له من العلاج .

أمّا علم قانون الصّحّة، فيُبحث فيه عن وسائل المحافظة على صحّة الأجساد البشريّة وغير ذلك ممّا تتكلّف كتب هذا الفنّ بإيضاحه .

118- في الكتاب الثّالث من «القانون في الطّب» لابن سينا، يخصّص المؤلّف هذا الجزء ل«الكلام في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ظاهرها و باطنها.». كأمراض المعدة (الفن الثّالث)، و أحوال القلب (الفن الثّاني)، و أحوال الكبد (الفن الرّابع عشر). فالأمراض الباطنية تضمّ عدد مُعتبر من الأمراض ليس لها أعراض ظاهرة (كالسّكري و الرّبو) إلى جانب ما يسمّى اليوم بالطّب الدّاخلي .

الفصل الرّابع
في المعاش

اعلم انّ الله تعالى شرّف الحيوان على النّبات بأشياء ، منها الإدراك و الحسّ و الحركة الإرادية و التّنقّل من محلّ إلى آخر على حسب ما تقتضيه الإرادة. و شرّف الإنسان على سائر الحيوانات بأشياء، منها العقل و النّطق ، زيادة على ما تقدّم ، فسبحان مَن خلقه في أحسن تقويم حتى تسخّر له الفيل و هو أكبر، و هابه السبع و هو أشجع ؛ ثمّ انّ الإنسان وإن كان من كان ، لا يخرج عن كونه حيوانا ، و كلّ حيوان لا بدّ له أن يتعيّش . و عيشة الحيوان ليست كعيشة النّبات ، تمطر من السّماء أو تُبلّ على وجه الأرض ، فتمرّ عليه أو تعلّق بالهواء ، فيصيبه شيء منها فيجتزي به بل لا بدّ لتعيّشه من أعمال مخصوصة ، أقربها الطّبخ و التّناول . وزد على ذلك احتياجه للكسوة والبيوت الّتي تقيه الحرّ والبرد . والله در المأمون العبّاسي حيث قال: « النّاس أربعة:
ذو صناعة، وذو زراعة، وذو تجارة، وذو إمارة[119] .
وما سوى ذلك فإنّهم يغلّون الأسعار و يكدّرون المياه .

أمّا الصّنائع: فكلّ النّاس يحتاجون إليه، وقيل: «الصّنعة أمان من الفقر». ولو لم تكن الصّنائع شريفة لما كان ادريس عليه السّلام خيّاطا وكذلك هود ولقمان . قال الشّاعر:

لولا الحياكة والّذين يلونها   بدت الفروج و لاحت الأدبار

119- نجد هذا التقسيم، لكن في ترتيب آخر ، عند ابن خلدون : «مقدّمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر»، الفصل الخامس من الكتاب الأوّل ، الفصل الثّاني : في وجوه المعاش و أصنافه و مذاهبه، ص 373 ، دار النّشر التّراث العربي ، لبنان. و نرى ان الشّيخ المجّاوي قد تأثّر بالفترة زمانية الّتي عاشها و الّتي تميّزت بالثّورة الصّناعية في أوربا و ما اتت به من تغيّرات جذرية في أنماط المعيشة.

ولمّا كان نوح نجّارا وداود يصطنع الدّروع، وانظر إلى ما ذكره الله في كتابه في سبيل المنّة فقال: « وعَلّمناهُ صَنعةَ لبُوسٍ لَكُم» [الأنبياء، 80]. قال الحسن البصري[120]: «لا يكسد رئيس صناعة إلاّ في شرّ زمان ومملكة أرْذَل سلطان». و لقد منّ الله سبحانه علينا بهذا العصر الّذي لم يسبق له نظير، بلغت فيه الصّنائع غاياتها والحرف نهاياتها ، فسهّلت الأسفار في البراري و البحار بواسطة الاتّساع في علم جرّ الأثقال على حسب فروعه ، و اتّسعت دائرة المعارف في علم النّقاشة الّذي من فروعه فن الطّباعة ، فلم يبق للإنسان الخليّ من الصّنعة عذر في هذه الأوقات الّتي انتشرت فيها الصّنائع و راج سوقها .

وأمّا الزّراعة[121]: فهي علم يُبحث فيه عن الفلاحة ومعرفة أحوال الزّرع وأنواعه وكيفيّة زرع الأشجار وحفظها من البرد وتطعيمها بفروع أشجار مختلفة، وماذا يَنبت منها في البلاد الحارّة و الباردة والأقطار المعتدلة ، وتطبيع النّباتات الغريبة المنقولة من إقليم إلى آخر، وكيفيّة تقليم الأشجار الغير المُثمرة لأجل أن تثمر، وتدبير الأبنية والتّعمير في الحقول على وجهٍ لائقٍ بها، ومعرفة ما يختصّ بذلك من آلات الحرث النّافعة و المدبّرة للمصاريف. ومن فروع هذا العلم تدبير المياه و تصريفها بسهولة لسقي الأراضي، وذلك كصناعة القناطر والجداول والجسور والأرصفة والنّواعير والحياض، وغير ذلك ممّا يُدرس في كتب هذا الفنّ الشّريف .

وأمّا التّجارة: فهي من أحسن طرق المعاش وطرق الاكتساب محصورة -كما تقدّم- في البيع و الرّبا والسلم والإجارة والقراض

120- هو الحسن بن الحسن البصري (21 - 110هـ) إمام وعالم من علماء الدولة الأموية . نشأ وسط الصّحابة فتعلّم الكثير منهم ، كان رجل شجاعا ، يخشى الله و يعمل على نشر الإسلام و العلم . مقولاته مليئة بالحكمة والمعتني الصّائبة.

121- يرى ابن خلدون انّ « الفلاحة (...) هي بسيطة و طبيعية ، فطرية ، لا تحتاج إلى نظر ولا علم و لهذا تنسب في الخليقة إلى آدم ابي البشر « . نفس المرجع ، ص 373

والشركة. ولا يخفى أنّ هذه الطرق منها ما أحلّه الله ومنها ما حرّمه، فيجب على مَن أراد أن يتجر أن يتفقّه حتى يعرف الحلال من الحرام. قيل: «من أتجر من غير فقه، وقع فيما لا يرضيه، سواء حاذر أو خاطر». و ينبغي للتاجر أيضًا أن يعرف قوانين التّجارة و ما يلزم لها من التّوكيل والحوالة والكفالة و الشّفعة وغير ذلك، و قد أوجبها الله تعالى على عباده بقوله: « وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله»[الجمعة، 10].

قال بعضهم: «عليكم بالتّكسّب، فأوّل ما يبدأ الفقر بإفساد دين الإنسان». وما أحسن قول بعض الحكماء يوصي شخصا: «احذر كلّ الحذر أم يخدعك الشّيطان، فيمثل لك التواني في التّوكّل ويورثك الهوينا بإحالتك على القدر، فإنّ الله أمرنا بالتّوكل عند انقطاع الحيَل والتّسليم للقضاء بعد الاعذار، فقال تعالى :» خُذُوا حِذركم»[النّساء، 71]. و قال: « وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ « [البقرة، 195] .
وقال عمر رضي الله عنه لرجل: «ما عيشتك ؟»
قال: «رزق الله» .
فقال: «لكلّ رزقٍ سببٌ ، فما سبب رزقك ؟»
وقال أبو تمام :
وصدقت ان الرّزق يطلب أهله لكن بسيرة متعب مكدودِ

وممّا قيل: «الاشتغال من شأن الأحياء والفراغ من شأن الأموات؛ فإذا قدرت أن تكون حيّا، فافعل».
والحاصل أنّ الفراغ للرّجل عقلة، وللمرأة غلمة. فينبغي للإنسان أن لا يترك الاكتساب على أيّة حالة كان ولا يهاب الغُربة في طلب المعيشة. قال الشّاعر[122]:
الفقر في أوطانه غربة والمال في الغربة أوطان

122- هو أبو بكر بن محمّد الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) قال :
الفقر في أوطانه غربة و المال في الغربة أوطان
و الأرض شيء كلها واحد و الناس جيران و أخوان

ومن عرف أنّ الحركة لقـاح الجسد العقيـم ، وجب عليه أن يحتـال في معـاشه، و يتـحرّك لانتعـاشه .

وأمّـا الإمـارة: فالمـراد بهـا هنـا ، الاستخـدام في أيّ وظيفـة كـانت من الوظـائف الدّوليّـة وهي متنوّعة : منهـا سيـفيـّـة، ومنهـا قـلميّـة، و منهـا عـلميّـة، وإنّـمـا قـلنـا «الاستخـدام « لأنّ الأميـر خـادم للدّولـة و الملّـة والأمّـة والوطـن وإن كـان مخدومـا، ولو أنّ الإمـارة خدمـة وقيـد ولها أثقـال وذلّ بعد العـزل لقيـل : «هي أشرف معيشة للإنسان الّتي يمتاز بها على سائر الأقران».
تمّ مـا أردنـاه من هـذه الفصـول .

الخاتمة

وهي تحتوي على آداب و أمثال و حِكم .
وبعض فصول وأبيات ممّا تمسّ الحاجة إليه.

رُوِي في الحديث : « ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقلٍ ، يهديه إلى هدى أو يردّه عن ردى».
وقيل: « الحمق يسلب السّلامة و يورد النّدامة ، و العقل وزيرٌ رشيد و ظهير سعيد ، مَن أطاعه أنجاه و من عصاه أرداه».
وقيل: « لو صُوّر العقل لأضاء معه اللّيل، ولو صُوّر الجهل لأظلم معه النّهار ».
وقيل: «العاقل من عامل الإنسان على خليقته، و جارى الزّمان على طريقته».
قال حكيم لابنه: «كن بحيلتك أوثق منك بشدّتك ، فالحرب حرب للمتهور وغنيمة للمتحذّر» .
وقيل: « من نهض به أدبه لم يقعد به حسبه» .
وقيل: « من لم يستفد بالأدب مالا، استفاد به جمالا».
وذمّ المأمون العبّاسي[123] الإكثار من النّحو، فقال: «علم يغنيك أدناه عن أقصاه».
وقال أبو حنيفة[124]: «المُكثِر من النّحو كالمُكثِر من غرس شجر لا يُثمر».
قال الأصمعي[125] مفتخرا بحفظه : « أحفظ إثني عشر ألف أرجوزة»،
فقال رجل: «منها البيت و البيتان».
فقال: « ومنها المائة و المائتان» .

123- هو المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء الدّولة العبّاسية ن وُلد 170 هـ و توفي 218 هـ. عرفت الدّولة العبّاسية تحت خلافته ازدهار فكري و علمي ملموس خاصة في ميادين الطّب و الفلك و الفلسفة و الرّياضيات.
124- هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة المدعو الإمام الأعظم، ولد سنة 80 هـ ، توفي سنة 150 هـ. عالم و فقيه، كرّس حياته لعلم الكلام وأصول الدين و مختلف العلوم الإسلامية.
125- عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أصمعي الباهلي (121 هـ – 216 هـ) شاعر و أديب، غزير العلم في البلدان المختلفة.

وهذه جملة من أمثال العرب القديمة:

يقال : أكرم من حاتم، وأبخل من مادر، وأبلد من باقل، وحمق من هبنّقة ، وأجرى من السّيل في اللّيل، وأحذر من ذئب، وأخلف من عرقوب، وأسجد من هدهد، وأشأم من البسوس، وأشغل من ذات النحيين، وأشهر من نار على علم ، وأطمع من أشعب، وأعزّ من كليب وائل ومن جبهة الأسد، وأفرغ من حجّام ساباط، وأفوت من أمس الدّابر .

ويقال : إذا عزّ أخوك فهن، وأرسلته لي خطّابا فتزوّج ، واعطى القوس باريها، وإنّ الحديد بالحديد يُفلح، و إنّ البلاء موكّل بالمنطق، وإنّ البعوضة تدمي مقلة الأسد، وأنت في واد و نحن في واد، أنف في السّماء واست في الماء، وبئس الرّدف «لا» بعد «نعم»، وحيثما سقط لقط ، ورجع بخفّي حنين، وحدّث عن البحر ولا حرج، وسَبَق السّيف العذْل[126]، وسكت ألفا ونطق خُلفا، وسمنكم هريق في أديمكم، و شب شوبالك رويته، وظمآن وفي البحر فمُه، وعند الصّباح يحمد القوم السّرى ، وعند الرّهان تعرف السّوابق، وقد استسمنت ذا ورم، وكلّ الصّيد في جوف الفرا، ولأمر ما جذع قصيرٌ أنفه، وما أشبه اللّيلة بالبارحة، ومن أشبه أبَاهُ فما ظلم، ومن صنّف فقد استهدف، ومع الخواطئ سهم صائب، ونام عصام ساعة الرّحيل، ونفخ في غير ضرَم، وهو كالكاتب على صفحات الماء، وهما كفرسَيْ رهان .

وهذه نبذة من الأمثال العاميّة الحديثة.

إذا وقعت يا فصيح لا تصيح ، و تراب العمل لا زعفران البطالة، ثقيل واسمه صخر بن جبل، ركْبتك وراني حطّيت يدك في الخرج، رزق الكلاب على المجانين، سلّ المجرّب ولا تنس الطّبيب، ضرب الحبيب كاكل الزّبيب ، ضربتين في الرّأس تعمي، طُفَيلي و يجلس في الصّدر،

126- العذل و ليس العدل كما ورد في بعض النّسخ.

ولولاك يا كمّي ما أكلت يا فمي، من قدّم النّحس تعب في تأخيره ، نصف البَلاء ولا البَلاء كلّه ، لا تشكرن فتًى حتى تجرّبه، لا تفرح لِمن يروح حتى تنظُر من يجيء ، يا ليتنا انكسرنا و لا بك انتصرنا ، لا يضرّ السّحاب نبيح الكلاب.

و هذه أبيات يتيمة انتخبتها للتمثّل بها :

للمتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

غيره

وليس يصحّ في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النّهار إلى دليل

وغيره

ليس يدري من الجهالة ماذا دوّر البعر في بطون الجِمال

وغيره

ولست مقارعا جيشا ولكن بِرَأيي يستضيء ذوو القراع

وغيره

صرت كأنّي ذابلة نُصّبت تضيء للنّاس وهي تحترق

وغيره

أصبحت تنفخ في رمادك بعدما ضيّعتَ حضنك من وقود النّار

وغيره

وكنت كناشب في الوحل ينوي نهوضًا وهو يزداد ارتطاما

وغيره

ولا علم لــي بالغيب إلا طليعة ... من الحزم لا يخفى عليها المغيب

وغيره

خليلي ليس الرّأي في صدرٍ واحد ... أشيرا عليّ اليوم ما تريان

وغيره

ما ضُرّ مَن حاز التأدب والنّهى ... ألا يكون من آل عبد مناف

وغيره

وقرابة الأداب تقتصر دونها ... عند الاديب قرابة الأرحام

وغيره

وعلمت حتى لا أسائل واحداً ... عن علم واحدة لكي أزدادها

وغيره

إذا جاء موسى وألقى العصى ... فقد بطل السّحر والسّاحر

وغيره

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضَللت وأنت تقصد إلى الباب تهتدى

وغيره

إنّ العَدُوّ و إن أبدى مُسالمة ... إذ رأى منك يوما غرة وثبا

وغيره

إذا كان ربُّ البيت بالطّبل ضاريا ... فلا تَلُم الصّبيان فيه على الرّقص

وغيره

إذا محاسني اللاّتي أتيت بها ... عادت ذنوبا فقُل لي كيف أعتذر

وغيره

العلم ينهض بالخسيس إلى العلى — والجهل يقعد بالفتى المنسوب

وغيره

حيّاك من لم تكن ترجو تحيّته — لولا الدّراهم ما حيّاك إنسان

وغيره

رُبَّ مهزول سَمِين عِرضه — وسمين الجسم مهزول الحسب

وغيره

ستذكُرُني إذا جرّبت غيري — وتعلم أنّني نِعم الصّديق

وغيره

ظهرت خيانات الثّقاة وغيرهم — حتّى اتّهمنا رؤية الأبصار

وغيره

عتبت على عمرو فلمّا تركته — وجَرّبْت أقواما بكَيْتُ على عمرو

وغيره

قد يدرك المُتمنّي بعض حاجته — وقد يكون مع المستعجل الزلل

وغيره

كنت من كربتي أحنّ إليهم — فهمو كربتي فأين القرار

وغيره

من يَحمدُ النّاس يحمُدوه — والنّاس مَن عابهم يُعاب

وغيره

متى يَبلُغ البنيان يوما تمامه — إذا كُنت تبنيه وغيرك يَهدم

وغيره

ولا يغررك طول الحِلم منّي — فما أبدا تصادفني حليما

غيره

ومَن يكن الغُراب له دليلاً يُمَرّ به على جِيَف الكلاب

غيره

ولربّما منع الكريم و ما به بُخلٌ و لكن سُوء حظّ الطّالب

غيره

لا تنظرنّ إلى الجهالة والحجا وانظر إلى الإقبال والإدبار

غيره

يُهمهم للشعير إذا رآه ويعبس أن رأى وجه اللجام

غيره

إذا لم تستطع أمرًا فَدَعْه وجاوزه إلى ما تستطيع

غيره

إذا أنت لم تُعلِم طبيبك كلّ ما يسوؤك أبعدت الدّواء عن المَتقم

غيره

إذا ما قضيت الدَّيْن بالدَّيْن لم يكن قضاءً و لكن ذاك غُرم على غرم

غيره

تكاثرت الظّباء على خراشٍ فما يَدري خراش ما يصيد

غيره

خاطر بنفسك كي تصيب معيشة إن الجلوس مع العيال قبيح

غيره

سُوء حظّي أنالَني منك هجرا فَعلى الحظّ لا عليك العتاب

غيره

شفيعي إليك الله لا ربّ غيره وليس إلى ردّ الشّفيع سبيل

غيره

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ولـيس عـليه أن يسـاعده الدّهر

غيره

فما أكثرَ الأصحـاب حين تعدُّهم ولـكنهم في النّـائـبات قـليـل

غيره

قد يـدرك الشّـرف الفتـى ورداؤه خـلقٌ وجـيـب قميصه مـرقـوع

غيره

لعـمرك ما ضـاقت بـلاد بـأهلها ولكن أخلاق الرّجـال تضيـق

غيره

مـن لـم يعـدنـا إذا مـرضنـا إن مـات لم نشـهد الجنـازة

غيره

هم يحسـدوني على موتي فوا عجبي حتى على الموت لا أخلو من الحسد

غيره

وإذا أتتك مذمّـتـي من نـاقـص فهي الشّـهـادة لي بأنّي كـامـل

غيره

ومن يكُ مثلي ذا عيـالٍ و مقتّر من الزّاد يطرح نفسه كـلّ مطـرح

غيره

ولا يأت يسقينـا سوى الماء وحده وهذا جـزاء من بلت ضيف الضفادع

غيره

لا يسكن المرء في أرض يذّلّ بهـا إلّا من العجـز أو من قـلّـة الحيل

غيره

يـريـك البشـاشـة عند اللّقـا ويَبْـرِيك في السّـرّ بـرْيَ القلمِ

غيره

إن كنت أنسيتـهـا فـلا عـجـب قـد عـاهـد الله آدمُ فنـسـي

وفيما أوردناه من هذه الأمثال المنظومة كفاية لإخواننا، وإنّما المدار على حفظها. ومن أراد أن يطّلع على أكثر من ذلك فعليه بمطالعة دواوين فحول الشّعراء كامرئ القيس بن حجر الكندي[127] الذي ورد في الحديث أنّه حامل لوائهم، وديوانه مشهور. و كذلك ديوان زهير بن أبي سلمى – بضمّ السّين – المزني[128]، صاحب المعلّقات الّتي يقول فيهـا «و من ومن»[129]. قال بعضهم : « إنّ كلامه فيها أشبه بكلام النّبوّة»

وكذلك ديوان ابنه كعب[130] رضي الله عنه، صاحب « بانت سعاد» الّتي مدح بها النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم ، فخلع عليه صلّى الله عليه و سلّم بردته. وكذلك كلام لبيد بن أبي ربيعة[131] رضي الله عنه.

قيل: إنّ عائشة زوج النّبيّ صلى الله عليه و سلّم كانت تحفظ من كلام لبيد اثنا عشر ألف بيت.

127- ولد سنة 520 م و توفي سنة 565 م . من أكبر شعراء الجاهلية ، اشتهر بمعلقاته و بديوانه الزّاخر . فقد أمتعنا بمعلّقته وأبياته النّفيسة ، منها:

وليــل كموج البحـر أرخى سدولـة   عليّ بأنـواع الهمـوم ليبتـلي
فـقلتُ له لمـا تـمطّى بصلبـه   وأردف أعجـازاً وناء بكلكل
ألا أيّهـا اللّيـلُ الطّويـلُ ألا انجلي   بصبْحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ

128- يلقّب « حكيم الشّعراء»، وُلد سنة 502 م و توفي سنة 609 م.

129- في معلّقته الّتي تبدأ ب: « أمن امّ أوفى دمنة لم تكلّم» و الّتي تحوي على بالأبيات :

وَمَن هـابَ أسبـابَ المَنيّـةِ يلقَـها   وَإن يرق أسبابَ السَّماءِ بِسُلّـمِ
وَمَن يَعصِ أطـرافَ الزِّجـاجِ فإنّـهُ   يُطيعُ العَوالي رُكّبَت كُلَّ لَهذَمِ
وَمَن يوفِ لا يُذمَم وَمَن يُفضِ قَلبُـهُ   إلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمجَمِ
وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوّاً صَديقَـهُ   وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ
وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَـةٍ   وَإِن خالَها تَخفى عَلى النّاسِ تُعلَمِ

130- هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، صاحب القصيدة المشهورة في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « بانت سعاد» والّتي تُعرف بـ «البردة». والّتي صدرها :

بانت سعـاد فقلبي اليوم متبـول   متيم إثرهـا لم يفد مكبـول
وما سعـاد غداة البيـن إذ رحلـوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول

131- : من شعراء المعلّقات ، توفي سنة 661 م ،

وكذلك ديوان عنتــرة العبسي[132]، وديوان طرفة بن العبد[133]، وديوان الحارث بن حلّزة اليَشكُري[134]، وديوان حسان بن ثابت[135]، شاعر النّبيّ صلى الله عليه و لَم، وكذلك دواوين الفرزدق[136] وجرير[137] والأخطل النّصراني[138]، ودواوين أبي تمّام[139] والبُحتري[140] والمتنبّي[141] المشهور.

132- هو عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، من شعراء المعلّقات، وُلد سنة 525 م و توفي سنة 608 م عانى الكثير من أجل سواد بشرته، و حبّه و شعره لعبلة (إبنة عمّه الحبيبة) كانا بحرا من الإحســاس و الرّقّــة و التّألـّم في حياة مليئة بالعنف و المعـارك . هذه بعض أبياتــه:

إلى كـمْ أداري من تريـدُ مذلّـتي ... وأبذل جهدي في رضاها وتغضبُ
عُبيلة ؛ أيـامُ الجمـال قليلــةٌ ... لهـا دولـةٌ معلـومـةٌ ثمّ تـذهبُ
فلا تحسبي أنّي على البُعدِ نـادمٌ ... ولا القـلبُ في نـار الغرام معـذّبُ

133- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، من شعراء الجاهلية ، وُلد سنة 539 م و توفي سنة 564 م ، فهو كثير الحكمة في شعره و كذلك كثير الهجّاء ، يلقّب الغلام القتيل لأنّه قُتل و هو لا يزال شابا لا يتجاوز 25 سنة من العمر ؛ و نجد في آخر معلّقته هذا البيت

ستُبدي لك الأيّامُ ما كُنتَ جاهلاً ... ويـأتيك بالأخبـار مَن لمْ تُـزوّدِ

134- من شعراء المعلّقات، كان يفخر الكثير بقبيلته،

135- هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر ، توفي سنة 674 م أي حوالي 54 سنة بعد الهجرة. قد تكون له صلة قرابة مع سيّدن محمّد صلّى الله عليه و سلّم ، و هو أكبر منه سنّا بحوالي ثمانية سنوات .اشتهر بقصائده في مدح الرّسول (ص) فيقول في مطلع أحد قصائده:

نبيٌ أتانا بعد يأس و فترة من الرّسل ... و الأوثـان في الأرض تُعبـد
فأمسى سراجـا مستنيـرا و هاديًـا ... يلوح كما لاح الصّقيل المُهنّـد
وأنــذرنـا نــارا و بشّـرَ جنّـةً ... و عـلّمَنـا الإسـلام فلله نحمدُ
و انـت إلهُ الخلـق ربّي و خـالقي ... بذلك ما عمّرت في النّاس أشهد

136- هـو همـام بن غـالب بن صعصعة الدّارمي، المسمّى الفرزدق، وُلد سنـة 38 هـ و توفي سنـة 110 هـ يعدّ من أعظم شعراء العصر الأموي، اشتهر بشعر الفخر و الهجاء و المدح ، فقال في هذا المنوال:

هذا ابن خيـر عبـاد الله كلّهـم ... هذا التّقيّ النّقيّ الطّـاهـرُ العلـم
هذا ابن فاطمة إن كنـت جـاهلـه ... بجـدّه أنبيـاء الله قـد خُتمـوا

137- هو جرير بن عطيّة بن حذيفة الخطفي الكلبي، ولد سنة 33 هـ و توفي سنة 133 هـ عُرف بشعر الغزل والهجاء و الرّثاء ، فقال في رثاء الفرزدق :

لعمـري لقد أشجي تميمـا وهدهـا ... على نكبات الدّهر موت الفرزدق
عـشيّة راحوا للفراق بنعشــه ... إلى جدث في هوة الأرض معمق
لقد غادروا في اللحد من كان ينتمي ... إلى كلّ نجم في السّمـاء مـحلـق

138- هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة الملقّب بالأخطل ، شاعر عربي نصراني ، اشتهر بالمدح والهجاء و الفخر، توفي سنة 92 هـ قال في هجاء الأنصار:

ذهبت قريش بالسّماحة و النّـدى ... و اللّؤمُ تحتَ عمـائمهم الأنصار
فدعوا المكـارمَ لستمْ من أهـلهـا ... و خذوا مساحيكم بـني النجـار

139- هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي المدعو أبو تمام، (188 – 231 هـ)، اشتهر بمدح الخلفاء والأمراء حيث كان من أكبر شعراء الخليفة المعتصم .نظّم الكثير في الغزل و الهجاء و الوصف.

140- هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي المعروف بالبحتري (205 – 284 هـ) ، يدعى شعره ب «سلاسل الذهب» . ألّف في الغزل و المدح و الرّثاء و الوصف و الحكمة ، فهو يُعتبر من أعظم شعراء عصره فلقّبه البعض « شيخ الصّنـاعة الشّعريّة». قد تُرجمت بعض أعماله إلى اللاتينية كتلك الّتي نجدها في كتاب: «المنتخب من تاريخ حلب» Selecta ex historia Halebi, G.W. Freytag, Regia Lutetiae, Parisiurum, Etypographia, 1819

141- هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي ، وُلد سنة 303 هـ ، يقال أنّه «نادرة زمانه وأعجوبة عصره»، ألّف من روائع القصائد في المدح و الافتخار و الوصف و الهجاء و الحكمة. و هو صاحب القصيدة الّتي تنطلق ب:

واحــر قلبـاه ممـن قلبـه شبـم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقـم

وهي تحتوي على البيت الشّهير

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفـني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وكذلك تلك الّتي تمدح سيف الدّولة :

عَلى قدر أهل العَزم تأتِي العَزائمُ ... وتـأتِي عَلى قدر الكِرام المَكـارم

قال ابن خلّكان[142]: أخبرني بعض المشـايخ، قال: « شاهدت لديوان المتنبّي أكثر من أربعين شرحـا»، وكذلك دواوين أبي العلاء المعرّي كسقط الزند ولزوم ما لا يلزم وغيرهما. وكذلك ديوان أشعر الطّـالبيّــين الشّـــريــف الـــرّضـي[143]، وديوان ابن المعتز[144] الّذي وضع علم البديع وابراهيم الصّابي النّصراني الأديب المشـهور وأبي نوّاس[145]، وديك الجنّ[146] وما أشبههم من شعراء العراق المجيدين.

وكـذلك يجـب لإخوانـنـا أن يطّـلعوا على خطب المتقدّمين وإنشاءاتهم ومقامـاتـهم ومـراسلاتهم، كالخـطـب العربـيّة والمقامات الحريريّة[147] والهمدانيّة[148] والزّمخشريّة وكالمراسلات الخوارزميّة، وترسّلات القاضي الفاضل[149]. ومن أراد أن يعــاني الإنشاء، فعليه ب «أدب الكاتب» لابن قـتيــبة[150]، و«المثال السّائر» لابن الأثيــر[151]، فإنّ فيهمــا كفايـة.

142- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (608 - 681 هـ)، أديب و مؤرّخ ، تولّى القضاء مدّة طويلة. اهتمّ كثيرا بالتّراجم فألّف « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان».

143- هو محمد بن الحسين بن موسى، ويلقب بالشريف الرضي (359 هـ - 406 هـ)، إمام و أديب و شاعر و فقيه، له مؤلفات عديدة، سهر على انشاء دار العلم» في بغداد تحوي على مدرسة و مكتبة .

144- هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، (247 هـ - 296 هـ) ، أديب وشاعر من شعراء البديع ترك عدّة مؤلّفات ، منها «كتاب البديع « و» طبقات الشّعراء».

145- هو الحسن بن هانئ الحكمي (145 هـ - 199 هـ)، أديب و شاعر، له قصائدا في المدح و الغزل و الرّثاء ، لكن شهرته أتته من خمريّاته. ألّف الكثير في مدح آل البيت وفي الزّهد و التّوبة:

يارب إن عظـمت ذنوبي كثــرة   فلقد علمت بأن عفوك أعـظم
إن كان لا يــرجوك إلا محســن   فبمن يلوذ ويستجير المجرم

146- هو عبد السلام بن رغبان الحمصي ، (161 هـ - 236 هـ) ، شاعر عربي عاش في العصر العبّاسي الثّريّ بالحيوية الثقافية و السّياسيّة. قتل زوجته الحبيبة غيرة ثمّ وقع في حسرة و ندامة كبيرتان ، فكتب الكثير في هذا الإطار.

147- هي مقامات ألقاها الأديب أبو محمّد القاسم الحريري البصري (446 هـ - 516 هـ)

148- كتاب المقامات هو أشهر مؤلّفات الأديب العربي بديع الزّمان الهمذاني (358 هـ -395 هـ)

149- عبد الرحيم بن على بن محمد اللّخمي، المدعو «القاضي الفاضل» (529 هـ - 596 هـ) ، كان كاتبا ماهرا و وزيرا لصلاح الدّين الأيّوبي.

150- هو أبو محمد عبد الله بن عبدالمجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ - 276 هـ) ، أديب لغوي و نحوي ماهر، فقيه و مؤرخ عربي . له مؤلّفات عديدة منها «أدب الكاتب» يذكر فيه الآداب الّتي يجب على الكاتب أن يتحلّى بها ، فيقول:

ومـا من كـــاتب إلا سيفنى   ويبـقى الدهـرَ مـا كتـبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء   يسرك في القيـامة أن تـــراه.

151- هو عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (555 هـ - 630 هـ) ، ألّف الكثير في التّاريخ و الأنساب.

وهذه بعض فصول أردنا إيرادها للفائدة :

إن قلت (صدر كتاب لعالم): جعل لك الله العلم نورا في الطّاعة وسببا إلى النّجاة و زلفة عند الله . اهـ .

(آخر) : أدام الله بك الإفضال و حقّق فيك الآمال .

وقال آخر معتذرًا : « يسرّ الله لنا من عفوك ما يسع تقصيرنا ، و من حِلمك ما يردّ سخطك عنّا». اهـ .

وكتب حكيم إلى حكيم : «يا أخي، إنّ أيّام العمر أقلّ من أن تتحمّل الهجر والسّلام». اهـ .

وللعتابي[152] من كتاب ' أمّا بعد ': «إنّ قريبك مَن قرُب منك خيره، وابن عمّك مَن عمّك نفعُه ، وعشيرتك من أحسن عِشرتك، وأهدى النّاس إلى مودّتك من أهدى برّه إليك» . أهـ

فصل لابن المكرم[153] في المدح : « إن من النّعمة على المثني عليك أن لا يخاف الإفراط ، و لا يأمن التّقصير، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، و لا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد فضلك تجاوزها ، ومن سعادة جدّك أن الدّاعي لا يعدم كثرة المتابعين له والمؤمنين معه» .

وله: «زاد معروفك عندي عِظَما أنّه عندك مستور حقير، وعند النّاس مشهور كبير»؛ وأخذه بعض الشّعراء، فقال :

زاد معروفك عندي عظما إنّه عندك مستور حقير
تتناساه كأنّ لم تأته وهو عند النّاس مشهور كبير

152- بل هو العتابي، كلثوم بن عمرو بن أيوب (توفي حوالي 220 هـ) ، شاعر و أديب و حكيم ، عاش تحت الدّولة العبّاسية.
153- هو محمد بن الحسين بن مكرم البغدادي (توفي حوالي 309 هـ) ،

يقول مؤلّف هذه الرّسالة وملتقط هذه العجالة:

إنّه لمّا منّ الله ليّ باجتماعي مع نادرة الأدباء وفاكهة النّجباء، صاحب البراعة واليراعة والمبرّز في حلبة هذه الصّناعة، أخي وصديقي الشّيخ ابراهيم سراج، المدني أصلا ومنشأ، المدرّس في الرّوضة المطهّرة حفظه الله من طوارق الحدثان ومتّعه في الدّارين، هو وجميع الخلّان، لقيت من آدابه روضا بهيًّا، ومن أخلاقه مسكا ذكيًا؛ وسمعت منه ما يبهر العقول ويزيّن المعقول والمنقول، فأحببت أن أختم هذه الرّسالة ببعضٍ من غرر كلامه ودرر نظامه الّتي استمليتها منه ورويتها عنه .

فمن ذلك ، قوله – حرسه الله - معاتبا بعض أحبابه:

« أمّا بعد ، فإنّ الشّوق شوق ما لم يشبّ عمره عن الطّوق، ومتى ما شبّ زاد وفتت الأكباد، ومن أسبابه المحذورة وموجباته المشهورة هجر الحبيب وطول المغيب. كانت آمالي في جنابكم العالي واثقة بالوفاء ومتلذّذة بالصّفاء، فكدّرتم شرابها وغلطتم حسابها ، فإن لم تجدّدوا الوصل استدام الفصل، والسّلام.»

ومن جيّد نظمه، هذه القصيدة الفريدة، الّتي تعدّ في الحقيقة من محاسن العصر، يمدح ويهنّي بها صاحب الدّولة والسّيادة، حضرة أمير مكّة المكرّمة الشّريف عبد الله باشا، وذلك في أيّام صباه :

أطربت من ذكر العقيق وخاله	فألحت لما لاح بارق خاله
أم حدّثتك الرّيح عن بان الحمى	خبرا فاشجى القلب ذكر غزاله
أنا لا أذم العيس وهي تجدّ في	وصل الحبائب بعد صرم حباله
وتسابق الظّلمان في در وقد	كلّفت نتاتجها بحب رئاله
ورب نهر مثل صفحة صارم	وافيته ليلا على أهواله
فوردته والذّئب يعوي حوله	والوحش يكمن في شعاف جباله
والجوّ يبدو كالغدير عليه من	زهر الخمائل ما قضى بجماله

وتـرى الثّـريّا كالبنان تشير إذ — رأت الرّقيب إلى السّهى بوزاله
والنّسر حلق إذ رأى نَهَر — المجرّة و السماك يرومه بنصاله
هـذا و كم من ليلة قد بتُّها — نشوان من مرح الصّبا و ظلاله
والعيش غضّ والحبيب موافق — والدّهر محمود على اغفاله

ومنها:

إن خابت الآمال فيما رمته — منه فليس الجود من أفعاله
ما الجود إلّا من مليك همّه — سبق الذين مشوا على منواله
من كلّ أروع خائض غمر الوغى — يختال يوم الطّعن في قسطاله
ناديه يحوي كلّ قرْم ماجد — ونداه منهل على سؤاله
يا من لفقد الجود أصبح صاديا — يرتاد مفضالا أضرّ بماله
أقصد كريم النّفس عبدالله من — قد قال حيّ على النّدى وسجاله
ملكا أغرّ متوّجا ذا هيبة — ملك النّفوس بماله و رجاله
المغمدين البيض في هام العدى — والمعملين السّمر يوم قتاله
تلقاه يوم السّلم أروع باسما — يعطي الهنيدة في أقلّ نواله
شهما عليه من الوقار سكينة — ومن الحياء البشر عند سؤاله
وتراه في يوم الوغى يختال من — مرح ولا كالليث في أغياله
ورث الإمارة عن كرام قادة — سادوا فشادوا المجد بعد زواله
قوم إذا انتسبوا رأيت المصطفى — فيهم و إن فخروا فهم من آله
يا من أتى بعد العبادلة الألى — سلفوا وخامسهم لفرط كماله
من ذا يماثلكم وأنتم خير من — ركب المطى ومن مشى بنعاله
ولأنت من قد أظلمت من سقمه — الدّنيا وضاء الكون من ابلاله
فلئن رفعت من السّقام شكاية — فلكم تشكى الجوّ سقم هلاله
لو لم تكن مثل النّسيم لطافة — ما كان حالك في السّقام كحاله
أشبهت ليث الغاب في سطواته — فعراك وعك وهو بعض خلاله

قالوا لنا مرض الأمير وما دروا   أنّ الخطوب مريضة بفعاله
فاهنأ بما منح الإله من الشّفا   كرما ونحمده على أفضاله
وليهن أهل العصر بروك إنّه   في الدّهر عافية لكل عياله
خذها اليك من ابن بحدّتها بلا   أمرٍ فقد وافتك في آماله
ولئن أكن في النّاس أصغر منشدٍ   فأنا الكبير بقلبه و مقاله
واسلم ودم ملك الزّمان وأهله   ما انهل وابل في سياق طلاله

وله يمدح الخديوي الأعظم[154]، أمير الأقطار المصريّة إسماعيل باشا، ويطلب منه الدّخول في إحدى المدارس المصريّة فأجابه :

تجاذبني ثوبي وتغلق بابها   وتزعم أنّي قد هجرت انتيابها
دعيني فلا و الله ما الهجر شيمتي   ولا قول عذالي يجوز رقابها
ولكن حالي يا ابنة القوم حائل   بما كدّرت سود الليالي شرابها
فربّ قلوص قد تسنّمت فانبرت   بأشعث في دوّيّة ما استطابها
يجوب بها أجواز كلّ تنوفة   تسر وتبدي ماءها وسرابها
إذا هبت الأرواح فيها ترى لها   دويًّا بتمزيق القتادُ ثيابَها
وإن حلّها الليل الدّجوجي ظنّها   مهادا وثيرا واستطاب ترابها
تحاذرني فيها الضّواري مَخافة   وتُعجب منّي كيف وافيت غابها
ولم يك لي فيها سوى السّيف مُؤنس   وبندقة تصلى العدوّ شهابُها
محلاّة الأطراف صاف حديدها   إذا ما رآها الطّير في الجوّ هابها
يحاذرها في النّاس من شطّ أو دنا   ويخشى المعادى إن تمادى عتابها
كأنّي إذا ألقيتها فوق منكبي   من الأمن في دار حويت انتسابها
وبيني وبين المكّتين مهامة   يتيه بها الهادي ويخشى اجتيابها
إذا جادها النّجن الملث بمائه   تذكرت من أيدي الخديو انسكابها
أعيذك إسماعيل من عين حاسد   تبيت تراعي النّجم ممّا أصابها

154- هو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا (1245 هـ 1312- هـ). تميّز حكمه بعدد الإصلاحات السّياسية الّتي مسّت العديد من المجالات.

أتى بك دهر للمعالي وطالما ... تأتى فلم يُفتح بمثلك بابها
أراك كما قد قيل و الله شاهد ... إذا كانت العلياء بحرا عبابها
كريما على العلات لا تتّقي الرّدى ... إذا أبرزت نار الوطيس التهابها
فكم من خطوب ساورتك فلم تجد ... سوى مشمعلّ قد أذلّ صعابها
يرى أنّ ظلم المال عدل وأنّ من ... يروم المعاني لا يملّ طلابها
تسائلني يا ابن الكرام صفاتكم ... مديحا ومن لي أن أجيد جوابها
ولست كمن يبغي ثوابا بمدحة ... عدمت ودادي ان أردت ثوابها
وإنّي لأرجو والأماني كثيرة ... عسى نظرة فيهنّ ترضي غضابها
فأروى ثمار العلم يانعة الجنى ... وأرشف منها ثغرها ورضابها
عليك سلام الله ما لاح بارق ... وما هبّت الأرواح تزجي سحابها

وله يمدح خير الدّين باشا[155]، أحد المماليك النّاشئين في تونس ويستنهض همّته وقد تولّى الوزارة فيها وظنّ النّاس أنّ بتوليته تنتفع البلاد والعباد مستدلّين بنسبة المجموع السمّى بـ «أقوم المسالك بمعرفة أحوال الممالك[156]». إليه:

أهاجك رسم من تهامة دائر ... عفتها الليالي ساعفتها المواطر
فبتّ شجيّ القلب تشكو ولم يكن ... لديك امرؤ يشكو ولا من يؤازر
باتت يد التذكار تعبث في الحشى ... وتنثر ما تطوى عليه الضّمائر
أم البرق من أكناف حلق قد خفا ... فطار إليه من فؤادك طائر
بلى قد تذكّرت العراقين فانبرت ... تمثّل مجرى الوافدين البوادر
دع الذّكر والذّكرى إذا هان خطبها ... تهيّج أحزانا لمن هو ذاكر
ولا تسأل الأطلال فهي صوامت ... سقاها من الوسمى هامٍ وهامر
ينوء يمانيًّا فتحدو به الصّبا ... ويزجيه أن أعيا من الرّعد زاجر

155- (1820 م – 1890 م) ، يُعتبر من الإصلاحيين التونسيين الأوائل، هو من أصل قوقازي، عرف اشدّ أنواع الاستبداد و العبودية لكنّه تمكّن أن يفرض نفسه و يصعد في المراتب العسكرية إلى أعاليها
156- انظر تحليل الدّكتور أبو القاسم سعدالله في كتابه «أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر»، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009م، الجزء الأوّل ، ص 165-164.

يطبق بطنان الرّبوع فينثني ... وفي يدها ممّا حباها أساور
فتصبح مروبا ثأها وممرعا ... ثراها وتلهو في رباها الجآذر
من القاصرات الطّرف واللات لم يرم ... قصيرتها إلا الليوث الخوادر
عنيت قصيرات النّساء و لم أرد ... قصار النّسا شرّ النّساء البحاتر
وشرّ امرئ في النّاس من لا يهمه ... دراك الأماني فهو قاص وقاصر

ومنها:

فلم يبق برّ ما حللت بسوحه ... وتشهد لي في بحرهنّ البواخر
وما شانني ليس السّواد وإنّما ... يشين الفتى ما لم تخذه الأكابر
ألم تنظروا الأحداق لولا سوادها ... لما قصرت عن فعلهن البواتر
ولولا سواد الليل لم يرد الفتى ... موارد لهو تصطفيها السّرائر
سلوا إن جهلتم كل من حجّ هل على ... مناكب بيت الله سود ستائر
وهل حجر التقبيل أزرى سواده ... به فاز غوى عنه تقيّ وفاجر
ومن نكد الأيّام فقد ذوي النّهى ... وصحبة من لم تستحله المفاخر
وكائن ترى في النّاس من ذي ضخاة ... تروعك منه وهو غمرٌ مناظر
يظنّ المعالي في كساء مرحل ... ويحسب أنّ المجد إرث يشاطر

ومنها عند المخلص

فيا ليلة قد أوهن السّير عزمها ... ظلامك قد أغفى ونجمك ساهر
كأنّ له مثلي اشتياق مبرح ... تتوق لخير الدّين منه المناظر
تلومك خير الدّين من غير سبّة ... لأنّك قد أعجزت من هو قادر
وخلّفت من ساروا سراعا إلى العلا ... وألجمت من تصبو إليه المنابر
أويت إلى ركن الخلافة راهبا ... فكنت كمثل العين زهو المحاجر
وشديت أزر الدين خوف انحلاله ... وأنجدت من دارت عليه الدّوائر
فأنت بإفريقية اليوم واحد ... وأوّل من تثنى عليه الخناصر

ومنها

وقالت أوربّا إن أوحد تونس ... حليف المعالي عن ذراعيه حاسر
فإن عاش يحيى عهد ديدون والأُلى[157] ... قفوها فتمتدّ القوى والعمائر
وقالت سيحذو حذو مدحت مجريا ... قوانينها اللاتي ارتضتها الشّعائر
فقلنا وقد طار السّرور بكلّ من ... إلى العرب يعزى نعم تلك البشائر
وإني وإن خالفت ناسا بما أرى ... فما جلتهم إلّا جهول مكابر
كما اختلفوا في خطّ باجة برهة ... وقالوا يقينا فعل من لا يشاور
وما هو إلّا فعل عدل محكم ... بصير بما يخفى وما هو ظاهر
فإن لم يكن حصن لتونس غيرما ... دروه فلا اختالت لديها المناسر
ولا أهّلتها للملاحم ساسة ... من العرب لا ينفكّ عنها التّظاهر
يفوقون أهل الحلّ والعقد منطقا ... ورأيا وكتبا تتّقيها العساكر

ومنها

وخذ بيد الصّنّاع ان لتونس ... من الوشي ما تختال منه المتاجر
فأنت الذي ارشدت كلّ موحّد ... بأقومك العالي على من يحاور
فهل نحن إلّا أشرف النّاس إن علوا ... علونا وإن راموا النّفار ننافر
يمجّد كأنّ المجد لا مجد عنده ... تليد بنته من قريش أكابر
ومنطقنا لا ضيّع الله أهله ... أقرّ له بالفضل من لا يكابر
دعوناك يا كهف النّجاة وموئل ... العفاة إلى ما تتقيه المصائر
فإن أنت أفعمت الدّلاء فحبّذا ... وإلّا فمن يروي عطاشا تضاور
وأنت الّذي إذا مرضت تمرضت ... لأجلك دنيانا وقلّ التّزاور
فلسنا نخصّ اليوم ذاتك بالهنا ... فبروك بره الكلّ والكلّ شاكر
إليك بلا أمر خريدة شاعر ... أتاك ولم يشعر بما هو شاعر
وقد هجر الأشعار قدما وسامه ... مع الهجر ما يلقى الوحيد المسافر
وما مهرها إلّا القبول فإن تفز ... به فهو أولى ما عليه التّصاهر

157- أو عليسة، ملكة فينيقية الأصل ، مؤسّسة مدينة قرطاج في شمال إفريقيا حوالي 814 قبل الميلاد.

وقد اقتصرنــا من شعــره على هـــذا القــدر وإلا فلــه من المــقـطّـعــات و القصائد ما يستحق أن يكتب بالخنــاجر على الحناجر.

تمّت الرّسالة .

تمّ بحمد الله طبع هذه الأوراق الّتي احتوت على ما رق من ثمرات الفنون وراق، و هي تشهد لمؤلّفها بأنّ له اليد الطّولى في كلّ فنّ، وتحمل الجبان على بذل روحه و ماله من غير ضنّ في اكتساب العلم الّذي هو أفضل ما يقتنى، و أولى ما به يُعتنى، و كفى به شرفا أنّ الله أمر حبيبه بطلب الزّيادة. ونسأل الله لنا و لمؤلّفها الحسنى وزيادة ولاح بدر التّمام و فاح مسك الختام بالمطبعة الوهبية، إحدى المطابع المصريّة، أواخر رجب الحرام، احد شهور سنة 1294، أربع و تسعين ومائتين بعد الأف من هجرة من هو للرّسل ختام عليه وعلى آله وصحبه الصّـــلاة والسّـــــلام .

تـــمّ.

وهذا تقريـظ لطيف جادث بـه فـكرة الأديـب الكامل الّذي شهد بفضله كــلّ فاضل حضــرة وهبي افندي، مُعــلّم اللغة الفرنساويّـة بمدرسة حارة السّقّــائين المصريّـة :

بسم الله الرّحمـــن الرّحيـــم .

الحمد لله الّذي وفّق من شاء من عباده لبثّ المعارف ، ونشر ما تزدان به الأوطـــان من اللطــائف، والشّــكر له على ســوابغ آلائــه الّتي لا تُحصى، وسوابق نعمائه الّتي لا تستقصى، ثمّ الصّلاة والسلام على جميع أنبيائه الكرام ورسله المرشدين الأنـــام .

أمّا بعد، فقــد اطّلعت على هذه الرّسالة المفيدة والعُجالة العلميّة الأدبيّة الفريدة، إطّلاع من تدبّر الألفاظ لإدراك معانيها، وأمعن النّظر في كيفية

أسلوب مبانيها، فألفيت ما لم تحط به باع الإطّلاع قبلها في كتاب ولا تعلّقت به أطماع الأسماع في سالف الأحقاب من الفوائد الجمّة والفرائد المهمّة، واللطائف الفائضة والأساليب المستعذبة الرّائقة، الدّالّة على ما لِحَضرة مصنّفها العلّامة من طول الباع وحسن التّفنّن والإبداع. فقد سلك فيها مسلكا لم يُسبق إليه ولا حام فكر أحد من المتقدّمين عليه، حيث جعلها كسلّم يُتوصّل به الطّلاب إلى تحصيل العلوم والآداب، جزاه الله كلّ خير عن هذا النّفع العامّ، وبلغه من المقاصد الخيريّة غاية المرام .

كتاب قد حوى غرر المعاني	فأزرى بالمثالب والمثاني
تقول لكلّ مطّلع عليه	مطالبه اعتزل ذكرى الأغاني
فإنّ العلم إرشاد ونور	وأفضل ما يعانيه المعاني
فدونك تحفة أدنى جناها	بقسطنطينة ربّ البيان
فلا زالت به تزهو افتخارا	و دام مُكرّما سامي المكان

المـلاحق

نظرا للانعكاسات الّتي انبثقت من نشر الكتيّب «إرشاد المتعلّمين»، وليتمكّن القارئ تصوّر الجوّ السّائد آنذاك والصّعاب الّتي عانى منها والّتي واجهها المدرّس الشّاب عبد القادر المجّاوي، ظهر لنا أن ندمج إلى عملنا هذا أهمّ الملاحق الّتي عثرنا عليها في إطار بحثنا حول هذا الكتاب للشّيخ عبدالقادر المجّاوي الحسني، هذا المدرّس الّذي كان قد ألتحق بمدينة قسنطينة منذ سبعة سنوات وتمكّن في هذا الظّرف الزّمني القصير أن يجد مكنا للعيش ومكانة للتّعايش مع أهل المدينة.

حقًّا، فإن الملاحق هاذي تُبرزُ لنا :

- أهمّيّة الكتيّب، رغم صغر حجمه.
- أن التّحليل الّذي قام به الشّيخ المجّاوي كان صائبا، فقد أزعج الإدارة المحلّيّة دون أن يذكرها ولو مرّة في نصّه .
- تفطّن الشّيخ المجّاوي لأهمّيّة وقوّة تأثير وسائل الإعلام في المجال السّياسي والاجتماعي بالرّغم من أنّ هذه الممارسة كانت جديدة في أقطارنا. فلم يتردّد لاستعمال هذه الوسيلة لِتسْييس القضيّة وإخراجها إلى الفضاء العمومي حتى يفتح مجال النقاش الاجتماعي حول قضيّة تهمّ النديجان، ولكي يستعمل شهادة الجمهور وحُكم الرّأي العام دون اللجوء إلى القوات الأمنية رغم التّعنيف الّذي واجهه .

ملحق رقم 1

قائمة الأسماء المذكورة أو المشار إليها مع الفترة الزّمنية .

اسم الشّخصية	الفترة
نوح	
داود	
ادريس	
هود	
لقمان	
ديدون (عليسة)	814 ق م
بُقراط	460 ق م
جلينوس	130 م – 200 م
محمّد (صلّى الله عليه و سلّم)	570 م - 632 م
أنوشروان (كسرى الأول)	ت 579 م
زهير بن أبي سُلمى	502 م - 609 م
امرؤ القيس	520 م – 565 م
عنتر بن شدّاد	525 م – 608 م
طرفة بن العبد	539 م – 564 م
كعب بن زهير بن ابي سُلمى	ت 646 م
أبي ربيعة	ت 41 هـ - 661 م
ابن ثابت	ت 54 هـ
شهاب الزهري	ت 58 هـ
الدّؤلي	ت 69 هـ
الأخطل	ت 92 هـ
الحسن البصري	21 هـ - 110 هـ
جرير	33 هـ – 133 هـ
الفرزدق	38 هـ – 110 هـ
ابن شهاب الزّهري	58 هـ - 124 هـ
عمر بن عبد العزيز	61 هـ - 101 هـ
عبد الحميد (الكاتب)	ت 132 هـ
مروان بن محمد الأموي(آخر ملوك بني أمية)	72 هـ - 132 هـ
أبو حنيفة	80 هـ - 150 هـ
الإمام مالك	93 هـ – 179 هـ

الخليل الفراهيدي	100 هـ – 173 هـ
الأخفش	ت 215 هـ
الأصمعي	121 هـ – 216 هـ
أبو نوّاس	145 هـ - 199 هـ
الإمام الشّافعي	150 هـ - 204 هـ
الأخفش	ت 215 هـ
ديك الجن	161 هـ - 236 هـ
المأمون العبّاسي	170 هـ – 218 هـ
ابن زيات الوزير	173 هـ - 233 هـ
أبو تمام	188 هـ – 231 هـ
البحتري	205 هـ – 284 هـ
ابن قتيبة	213 هـ - 276 هـ
العتّابي	ت 220 هـ
ابن المعتزّ بالله	247 هـ - 296 هـ
ابن المكرم	ت 309 هـ
أبو بكر الرّازي	250 هـ – 311 هـ
المتنبّي	303 هـ – 354 هـ
الزّبيدي	316 هـ - 379 هـ
الهمذاني	358 هـ - 395 هـ
الشّريف الرضي	359 هـ - 406 هـ
ابن حبيب النيسابوري	ت 406 هـ
ابن سينا	370 هـ – 427 هـ
الحريري	446 هـ - 516 هـ
القاضي الفاضل	529 هـ - 596 هـ
ابن الأثير	555 هـ - 630 هـ
صفي الدّين الحلّي	675 هـ - 750 هـ
ابن الخلكان	608 هـ – 681 هـ
عبدالرّحمان ابن خلدون	732 هـ - 808 هـ
تقي الدّين بن حجة الحَمَوِي	767 هـ - 837 هـ
المناوي	952 هـ - 1031 هـ
السّجاعي[158]	ت 1197 هـ
(خير الدين باشا)	1235هـ–1307 هـ
(اسماعيل باشا)	1245 هـ 1312- هـ

158- يبدو أن الإشارة إلى هذين الشّخصين ليست للمجّاوي ، و مراسلة طلبته تؤكد ذلك.

ملحق رقم 2

هذا الملحق يتكوّن من مراسلة وجّهها الشّيخ المجّاوي إلى جريدةٍ كانت تصدر في قسنطينة، ففي هذة المراسلة، يتحدّث المجّاوي عمّا وقع إثر صدور كتيّبه، وهو يحاول أن يدافع عن نفسه، كون بعض الأشخاص حاولوا تهمته بالمساس بشرف الدّولة الفرنسيّة، الشّيء المُعاقب عليه حسب القانون الّذي كان يخصّ بالأنديجان. كان المجّــاوي عن دراية بالأخطار العـدليّة الّتي كان مُعرّضا لها، فاتّجه نحو الصّحافة والرّأي العام ليطرح المؤامرة الّتي كان يواجهها .

فبسبب الشّكاوي الّتي قدّمها بعض سكّان قسنطينة إلى مُمثّلي الحكومة الفرنسيّة، رأى المجّاوي نفسه مهدّدا بعقوبات إلى جانب التّهديدات بالموت الّتي تبدو من خلال النّص (و نص المراسلة الّتي تلِــيه). وما هذه التّهديدات سوى مناورات مُدبّرة ضد المدرّس لِحثّــه على مغادرة أرض وطنه والهجرة إلى بلاد آخرى.

وهذا نصّ مراسلة المجّــاوي الّتي ظهرت في جريدة «لاندبندنت»، 25 نوفمبر 1877م والّتي نقـلنــاها على حــالهــا متبوعة بكلمة لمُحرّر الجريدة، و تليها مراسلة أخرى لأعداء المدرّس :

Journal «L'Indépendant, Echos de Constantine »
25 novembre 1877

Nous avons reçu la lettre suivante:

Traduction

«Louanges à Dieu qui a prescrit à ses serviteurs l'amitié et la bonté et qui leur a défendu de se chercher querelle, de se haïr réciproquement et de s'écarter les uns des autres![159]»

Voici les faits :

J'ai composé un ouvrage relatif à l'étude des sciences qui élèvent l'esprit et j'ai invité avec instance les étudiants à consulter ce livre pour leur donner l'idée de s'appliquer à l'étude.

Dans ce but, je me suis moqué des ignorants et pour les rabaisser à leurs yeux, je leur ai présenté les trois images suivantes:

J'ai dit que l'ignorant, lorsqu'il parle de choses étrangères à la science, - et il ne peut parler de sciences[160] - émet un langage comparable au bruit du renard ;

Que, s'il se trouve réuni dans une assemblée de personnes instruites, il cache son visage comme le hérisson lorsqu'il se met en boule ;

159- يبدوا أنّ هذه الجملة الأوليّة ترجمة ل:» و تعاونوا على البرّ و التّقوى و لا تعاونوا على الإثم و العُدوان « [المائدة - 2]

160- يتّفق علماء الابيستمولوجيا على هذا المبدأ ، حيث أن العالم قاستون باشلار يؤكّد في كتابه « La formation de l'esprit scientifique » ، أن كلّ شيء مبني و ليس معطى . ففي ميدان العلم ، لا يوجد علم فطري . فالعلم يُكتسب عن طريق التساؤل و التّعلم ، و هو يُعارض المعرفة العامّيّة ، بل يُبنى على أساس نفيها.

Et que sa marche est comparable à celle de la sauterelle lorsqu'elle s'entasse sur le buisson épineux appelé « El Djerniz ».

Mon livre étant parvenu entre les mains de certaines gens, ces personnes ont apprécié les paroles qui précèdent comme constituant des injures. Elles ont excité à ce sujet d'autres personnes, les ont entraînées à leur suite et ce groupe s'est appliqué à soulever les gens et à les pousser à me faire subir des mauvais traitements quand je sors, à déposer des plaintes à l'autorité et à m'assaillir en me frappant et en m'accablant d'injures, si bien que j'ai du me séquestrer chez moi pour éviter de fournir une occasion à ceux qui me veulent du mal.

Je me trouve donc dans une situation pitoyable et je préfère certainement la mort à une telle vie, puisque je me vois reconnu coupable alors que je n'ai commis aucun crime.

Dans cette conjoncture, si déplorable pour moi, et ne trouvant aucun moyen pour en sortir, je viens me présenter à la porte de votre journal et de la générosité de son rédacteur, espérant qu'il voudra bien publier ces lignes et servir d'intermédiaire entre moi et la population afin de lui faire savoir que maintenant, - bien que je ne me reconnaisse coupable d'aucune faute - je demande à tout le monde miséricorde et pardon, puisque « le pardon est l'attribut des âmes généreuses ».

Et cependant, les paroles dont je me suis servi dans mon livre ne contiennent ni injure ni calomnie et je ne propose d'autre moyens pour avoir la preuve de la sincérité de mon dire, que de consulter les ouvrages qui donnent le sens des mots de notre langue.

Mais, puisque les gens sont certains qu'il y'a injure et vitupération– alors, cependant que le sens du texte n'est pas ce qu'ils prétendent - , je leur demande de faire acte de justice et de mansuétude à mon égard et (pour les engager à cela), je leur rappelle tous les efforts que j'ai fait pour instruire leurs enfants et leur enseigner la science utile, si bien, qu'ils ont acquis une éducation complète ainsi qu'il est bien connu de tout le monde en particulier et en général.

Et si, malgré ces explications, ils s'y refusent et persistent dans ces dispositions, je désire, Monsieur le rédacteur que, par l'intermédiaire de votre journal, ma plainte parvienne aux fonctionnaires ayant de l'autorité sur ces gens.

Il n'est en effet pas admissible que les représentants du gouvernement français permettent à personne de frapper ou de menacer un citoyen[161] . Non, le coupable, quel qu'il soit, doit être puni par l'autorité.

Si donc, je suis reconnu coupable par l'autorit et si la faute qu'on m'impute est constatée par elle, qu'elle me punisse selon que je l'aurai mérité mais non par le système de menaces, de violence et d'injures en pleine rue, dont je suis victime[162] , insultes et menace qui parviennent à mes oreilles, ce qui me force à me séquestrer chez moi, de telle sorte que je suis comme en prison et ne puis sortir, pour me rendre aux marchés et me procurer ma subsistance car je veux me soustraire aux avanies.

161- نرى أنّ المجّاوي يندّد بممثّلي الحكومة و تصرّفهم المتحيّز و يُحمّلهم مسؤولية الوقائع ،
162- في هذه الفقرة ، يكاد المجّاوي أن يتّهم جهرا السلطات المحليّة في تحريضها لجماعة من الأشخاص للقيام بإيذائه و تعنيفه . و أخيرا يحمّلها مسؤولية تفاقم الأوضاع إذا ما أدى كلّ هذا إلى اغتياله.

En résumé, Monsieur le rédacteur, je viens avoir recours à votre journal, espérant que, dans votre générosité, vous voudrez bien publier ces lignes.

Or, si l'autorité ne s'occupe pas de cette affaire et ne me protège pas contre ces gens qui veulent ma perte, il est certain que tout cela finira par mon trépas.

Salut, écrit à Constantine, le dix neuf novembre de l'année mille huit cents soixante dix sept.

Signé Abdelkader ben Abdallah El Medjaoui,
Pour traduction conforme
Constantine le 21 Novembre 1877

L'interprète traducteur assermenté, E Mercier.

Note de la rédaction du journal « L'indépendant »[163]

Le fait énoncé dans cette lettre présente un intérêt particulier et doit fixer notre attention.

Un instituteur arabe, un philosophe modeste sortant de la vie purement contemplative et se mettant à observer les misères qui l'entourent souffre de l'ignorance de ses coreligionnaires. Il voudrait les voir s'élever au dessus des préjugés ; il sait que sa race s'est illustrée autrefois par la science autant que par les armes. Il dit à ceux qui l'entourent : Sortez des ténèbres, venez à la civilisation, instruisez-vous, devenez les égaux des peuples les plus puissants de la terre.

Mais ici recommence l'éternelle histoire de la haine et de l'envie appelant à leur service les ignorants. Toujours la cigüe, toujours la croix réservée aux sages, aux amis de l'humanité.

Abdelkader ben Abdallah El Medjaoui n'est pas Socrate mais c'est un homme qui aime ses semblables et leur donne de bons conseils. Il en est récompensé par des injures : cela ne nous étonne point. L'occasion est bonne cependant, de prouver aux indigènes que la France veut la liberté, qu'elle n'admet pas les persécutions stupides d'une foule ameutée par des êtres exécrables et qu'elle prend sous sa protection ceux qui disent aux ignorants : instruisez-vous.

La liberté d'Abdelkader sera certainement garantie puisqu'il est digne d'être traité en citoyen et les indigènes honnêtes le prendront sous leur protection spéciale.

163- يوجد هذا النّص في نفس الصّفحة الّتي فيها الرّسالة السّابقة للشّيخ المجّاوي

ملحق رقم 3

Journal « L'Indépendant, Echos de Constantine », 05 décembre 1877

Traduction

Réponse
aux allégations publiées
par Abdelkader Le Medjaoui le Marocain[164] ,

Cet homme expose qu'il n'a pas insulté la population et ne la pas blessée par des paroles outrageantes ; et qu'enfin il a restreint ses imputations en les appliquant spécialement à l'ignorant, afin de pousser les gens à l'étude de la science.

Or ces explications sont vaines et inadmissibles, et pour en établir la fausseté, il n'y a pas de meilleure preuve que de s'en référer au texte de son livre : en effet, il y emploie ces expressions pour désigner tous les habitants des trois provinces algériennes sans restriction, les déclarant tous ignorant et se servant de cette expression :
«L'ignorance s'est appesantie sur eux comme un brouillard épais», Après quoi, il les compare aux plus vils des animaux sauvages.

Quant au pardon qu'il demande, s'il prétend par cela faire disparaître toute trace de ressentiment dans le cœur des gens et supprimer l'effet qu'ils ont ressenti de son mauvais procédé, soit

164- هذه التّسميّة جاءت للتّقليل من تأثير المجّـاوي على أهل قسنطينة .

qu'ils l'aient caché, soit qu'ils l'aient manifesté, c'est là une chose impossible et qu'il ne peut avoir l'ambition d'obtenir.

En effet, il est incontestable que, par ce procédé, il a à jamais, perdu deux choses, dont l'une est l'amitié que tout le monde lui portait et la haute considération que chacun lui accordait en lui attribuant un haut rang dans la science, et l'autre est le profit qu'il retirait des avantages matériels que chacun lui offrait en mettant ses biens à son service.

Quant aux craintes qu'il prétend éprouver pour sa sécurité, elles sont peu justifiées, car les personnes douées de jugement ne s'appliquent pas à se faire justice par elles-mêmes du préjudice dont elles sont victimes, mais attendent, à cet égard, l'action de l'autorité.

Seulement, il peut se trouver des gens encore jeunes, ayant le sang chaud et le caractère vif, et ceux-là peuvent, il est vrai, faire par eux-mêmes, du mal.

Du reste si la blessure qui a été faite par lui à la population n'avait eu pour théâtre que ce pays, il serait possible que les gens consentissent à l'oublier, une fois le premier moment d'irritation passé. Mais ce qui a surtout mis la colère dans le cœur des gens, c'est que ledit Marocain s'est arrangé pour faire parvenir les insultes qu'il leur adresse jusqu'à des localités éloignées telles que le Caire, Tunis etc.

Alors les gens se sont dis : quiconque, parmi les habitants de l'Algérie ira en voyage, soit pour accomplir le pèlerinage, soit pour

des affaires commerciales, sera l'objet du plus grand mépris de la part des habitants de ces localités.

N'est-il pas surprenant, en effet, qu'il n'ait pas jugé devoir faire imprimer sa brochure dans le pays qu'il habite et qu'il soit allé le faire imprimer au Caire ?

Les paroles qu'Abdelkader El Medjaoui à fait imprimer dans l'Indépendant et par lesquelles il déclare qu'il a peur pour sa personne au point qu'il a du se séquestrer chez lui, sont en contradiction formelle avec ce qui a été fait à son instigation par un certain nombre de ses amis, à savoir, que les gens de la ville lui auraient pardonné, ainsi qu'il résulte des nombreuses lettres qui ont été écrites à cet effet, lettres qui, par parenthèse, ne sont très probablement pas dressées dans des conditions de régularité absolue.

En résumé, ce Marocain Abdelkader sus-mentionné, s'il était capable d'accepter un bon conseil, s'il avait dans les veines un sang généreux et s'il était d'un caractère droit, devrait se dire ceci :
« Puisque j'ai perdu l'amitié, le respect, les bonnes dispositions et les avantages matériels que m'accordait la population, que je suis devenu comme si je n'existait pas et que les principaux citoyen et les habitants de la ville empêchent leurs enfants d'avoir des rapports avec moi, il est obligatoire pour moi de quitter de mon plein gré l'Algérie.»

Voilà ce qu'il devrait se dire, et cela en admettant que les autorités fermassent les yeux sur l'acte par lui fait et ne le punissent pas.

Il est convenable pour lui d'aller habiter les pays dont il a célébré et vanté les princes en terminant sa lettre, car il se présente à eux dans cet épître comme le chef des plus grands savants (Imam El Mouhaqqiqiine).

Peut-être en se transportant dans ces localités, y obtiendrait-il la position la plus élevée et saurait-il y conquérir la vénération et l'amitié en compensation de ce qu'il a perdu à Constantine.

Cet homme a, en effet, englobé dans ses insultes le gouvernement, qui fait tous les efforts pour répandre l'instruction et qui l'a nommé professeur en lui affectant un traitement sur sa caisse, les professeurs, ses collègues, appliqués comme lui au devoir de l'enseignement, et enfin, ses élèves, qu'il prétend avoir instruits : ses insultes atteignent ainsi de trois côtés.

Une telle manière d'agir serait répréhensible de la part d'un homme né au milieu de nous, mais venant d'un étranger Marocain, sur les antécédents duquel nous n'avons aucun renseignement précis, cela n'est pas admissible et nous n'avons que ceci à lui dire : «Allez chercher d'autres gens avec lesquels vous entrerez en relation au moyen de votre science, dont vous vous servirez ensuite pour les insulter en prétendant leur donner de bons conseils ! »

Salut de la part de tous les gens de Constantine et en particulier de ceux que représente l'écrivain

Signé Kheir Eddine Bou.M.

A Constantine le 26 novembre 1877

ملحق رقم 4

« L'Indépendant, Echos de Constantine »
26 décembre 1877

Traduction

Monsieur le Rédacteur en chef du journal l'Indépendant.
Monsieur le Rédacteur

Nous vous exprimons notre reconnaissance pour la bonté que vous avez eue d'insérer dans les colonnes de votre journal l'Indépendant du 25 novembre dernier, la lettre de notre professeur si Abdelkader Ben Abdallah El Medjaoui, natif de Tlemcen, et nous avons surtout, à vous remercier des réflexions dont vous avez fait accompagner cette insertion, réflexions dont nous reconnaissons l'exactitude et qui sont généralement approuvées.

Nous venons aujourd'hui demander de votre grande bienveillance et de vos sentiments élevés que vous donniez place dans votre honorable journal aux lignes en réponse à ce qui a paru dans le journal Le Progrès de l'Est du 08 courant.

Voici ce que porte le commencement dudit article :

«Cet homme emploie des paroles outrageantes pour désigner tous les habitants des trois provinces algériennes, sans restriction, les déclarant tous ignorants, et se servant de ces expressions: 'L'ignorance s'est appesantie sur eux comme un brouillard épais.' après quoi il les compare aux plus vils des animaux sauvages ».

Nous répondons, Monsieur le Rédacteur à cette première imputation, en reproduisant les termes dont s'est servi notre professeur dans votre journal du 25 novembre dernier :

«Les paroles dont je me suis servi dans mon livre ne contiennent ni injures ni calomnie et je ne propose d'autre moyen pour avoir la preuve de la sincérité de mon dire que de consulter les ouvrages qui donnent le sens des mots de notre langue.»

Nous répondons maintenant à une deuxième phrase de leur lettre commençant par ces mots :

«Quant au pardon qu'il demande... » et finissant par ceux-ci : «C'est là une chose impossible et qu'il ne peut avoir l'ambition d'obtenir ».

Nous disons que notre professeur n'a fait aucune action nuisible et que personne n'a porté plainte contre lui pour quelque préjudice causé, à l'exception de quelques individus, qui ont agi sans que nous puissions deviner le mobile qui les poussait.

En réponse à une troisième phrase qui porte que notre professeur a, à jamais, perdu deux choses, dont l'une est l'amitié que tout le monde lui portait et la haute considération que chacun lui accordait en lui attribuant un haut rang dans la science etc...

Nous dirons que l'existence de cette amitié et de cette haute considération lui reste établie par leur propre aveu et qu'ils n'ont pas réussi à prouver qu'il les ait perdues.

En réponse à une quatrième phrase ainsi conçue :
« Quant aux craintes qu'il prétend éprouver pour sa sécurité, elles sont peu justifiées...Seulement, il peut se trouver des gens encore

jeunes ayant le sang chaud et le caractère vif, et ceux-là peuvent, il est vrai, par eux-mêmes faire du mal.»

Nous disons que notre professeur, non seulement n'a jamais fait de mal à personne mais encore que ses actions méritent récompense et que personne n'a de représailles à exercer contre lui ; qu'ainsi, pourquoi parle-t-on soit de répression de la part de l'autorité à son égard à l'instigation de gens possédant leur bon sens, ou de vexation de gens à sang chaud, c'est-à-dire d'insensés?

Les choses étant ainsi, nous leur répliquerons que nous somme prêts à nous conformer à tout ce qui émanera de l'autorité, y donnant d'avance notre consentement, et étant sans crainte à cet égard, car les imputations dirigées contre notre professeur n'ont aucun fondement.

Quant à cette question de vexations à subir de la part de gens à tempérament vif, nous n'avons rien à répliquer, vu que l'autorité a toute compétence là-dessus et tout pouvoir ; seulement, nous observons qu'il y'a ici, en présence les uns des autres des gens douées de leur raison et des gens à sang chaud agissant tous ensemble dans un but commun ; et qu'il y'a lieu de soupçonner les gens raisonnables d'être les instigateurs des vexations dirigées contre cet homme par les gens d'un tempérament chaud ; et la responsabilité de ces vexations incombe à ceux-là car celui qui et la cause d'un fait est réputé en être l'auteur.

Ses adversaires disent dans une cinquième allégation :
«Du reste, si la blessure qui a été faite à la population n'avait eu pour théâtre que ce pays etc... »

Et plus loin :

«Quiconque ira en voyage sera l'objet du plus grand mépris de la part des habitants de ces localités.»

Notre réponse ne fera que répéter ce que nous avons dit précédemment, savoir : que ce qui se trouve dans son livre ne renferme ni moquerie ni mépris, qu'ainsi on ne peut en inférer que les gens de notre pays seront exposés par le fait de notre professeur aux railleries des habitants de l'Egypte ou de la Tunisie.

La sixième phrase que nous avons à cœur de réfuter est celle-ci :
«N'est-il pas surprenant qu'il ait fait imprimer son ouvrage au Caire?»

Nous répondrons que c'est une simple question d'économie qui a guidé en cela notre professeur, vu que les frais d'impression au Caire sont de beaucoup inférieurs à ceux de ce pays-ci, comme le savent toutes les personnes compétentes ; aussi ne peut-on pas s'expliquer leur étonnement.

La septième proposition à réfuter est celle-ci :
«Les paroles qu'Abdelkader El Medjaoui a fait imprimer dans l'Indépendant, et par lesquelles il déclare qu'il a peur pour sa personne.... »

Notre réponse est que ces lettres n'ont pas été écrites à l'instigation de notre professeur Si Abdelkader par quelques-uns de ses amis mais qu'elles ne doivent leur origine qu'à l'amour de la justice et du bon droit qui anime leurs auteurs, et si elles ne sont pas dans les conditions de régularité désirable, c'est là un point qui est en dehors de leur action, et nous voyons là une preuve du caractère audacieux qu'ont montré ceux qui ont dit cela, et de l'excès d'injustice qui pesait sur notre professeur de leur part.

A la huitième phrase qui porte ce qui suit :

«En résumé, ce Marocain Abdelkader sus nommé, s'il était capable d'accepter un bon conseil, s'il avait dans ses veines un sang généreux... quitterait de son plein gré l'Algérie ...en admettant que les représentants de l'autorité fermassent les yeux sur l'acte par lui fait et ne le punissent pas.»

Nous répondons qu'il n'y a personne qui doive accepter un conseil de ce genre, à meilleur droit que leur ami B. M. . Et que quant à ce qu'ils disent que notre cheikh a perdu l'amitié qu'avaient pour lui les gens de la ville et que ceux-ci empêchent leurs enfants de suivre ses leçons, cela est faux et démenti par la constatation réelle des faits car le nombre des enfants qui vont actuellement à son cours est plus nombreux qu'auparavant.

Il faut, toutefois, excepter deux ou trois enfants de ses adversaires qui s'abstiennent d'y paraître par suite de l'espoir qu'avaient leurs pères que tous les habitants de Constantine suivraient leur exemple- espoir qui a été déçu. Ils agissaient ainsi pour mettre en relief les torts qu'ils lui attribuaient de la manière la plus injuste.

Quant à la répression qu'ils voulaient lui voir infliger par l'autorité, nous n'avons qu'à répéter ce que nous avons dit ci-dessus, c'est-à-dire que nous acceptions tout ce qu'il plaira à l'autorité de décider et nous nous y soumettons d'avance, certains que nous sommes qu'elle ne donnera rien que de juste.

Une neuvième phrase de sa lettre insérée dans 'Le progrès de l'Est' porte :
«Il est plus convenable pour lui d'aller habiter les pays dont il a célébré et vanté les princes, en terminant son écrit ; car il se présente à eux comme étant le chef des plus grands savants (Imam el Mouhaqqiqiine)»

Nous répliquons que les pièces de vers composés à la louange desdits princes ne sont pas l'œuvre de notre professeur mais ont été faites par un autre comme il est constant par la signature de leur auteur.

Du reste, voici l'explication de cela et comment les choses se sont passées en réalité :

Il se trouvait à Constantine un homme venu du Caire pour vendre des livres arabes, cet homme voulant retourner dans son pays, ledit professeur le chargea de faire imprimer son opuscule au Caire, et il lui remit son manuscrit avant son départ. L'Egyptien se mit en route et, étant arrivé à Tunis, il y resta quelques jours et il lui vint à l'idée de composer des vers à la louange du premier ministre alors en fonction, le général Kheir Eddine, désirant recevoir une récompense de sa générosité, et, en effet, par le moyen d'une composition poétique, il obtint le but de ses désirs. Après cela,

il continua sa route jusqu'en Egypte, et là, il composa une autre pièce de vers à la louange du vice roi, espérant obtenir quelques faveurs de lui ; et comme c'était par son entremise qu'allait se faire l'impression dudit manuscrit, il profita de la circonstance pour faire imprimer en même temps les pièces de vers de sa composition, à la fin de l'ouvrage, dans le but de faire connaître son talent supérieur pour la poésie. Cela eut lieu avant que notre professeur en eut connaissance et il ne le sut que lorsque cet ouvrage imprimé lui parvint, et il ne lui restait alors d'autre parti que d'accepter les faits accomplis, n'y pouvant rien changer.

Dans de telles conditions, voyez quels reproches peuvent lui être adressés ! Mais ses adversaires veulent donner de l'importance à la chose et en faire une question politique afin de voir aggraver la punition qu'ils désireraient lui faire infliger. Mais toutes ces manœuvres ne produisent aucun effet, et il est dit que celui qui creuse la fosse y tombera.

Si ces personnes savaient que le général Kheir Eddine est un des amis dévoués de la France, ce qui ressort par les faveurs dont il a été l'objet, car il a reçu le grade le plus élevé dans la Légion d'Honneur, si elles savaient cela, disons nous, elles ne tendraient pas un tel piège.

Dans leur dixième allégation ils parlent ainsi :

«Cet homme a englobé dans ses insultes le gouvernement… ses insultes atteignent ainsi trois côtés. »

Nous faisons observer, Monsieur le Directeur de l'Indépendant, que cette allégation qui introduit le gouvernement parmi les victimes

de son mépris et de ses injures –mépris et injures qui n'existent nullement- est une nouvelle manœuvre à ajouter aux précédentes.

Pour ce qui est à son adresse dans la onzième phrase à réfuter dans la lettre insérée dans 'Le progrès de l'Est' :

«Cette manière d'agir, venant d'un étranger Marocain sur les antécédents duquel nous n'avons aucun renseignement, etc»

Notre réponse est celle-ci :

L'origine dudit Abdelkader est connue de tout le monde. Il appartient à une famille dont les membres ont cultivé les sciences de père en fils et le traiter d'étranger, de Marocain est un mensonge et une fausseté évidente. Sa patrie est l'Algérie et son lieu de naissance est Tlemcen, il a en ses mains de quoi le prouver et il possède des certificats suffisants pour confondre ses adversaires en présence de qui il leur plaira de choisir eux-même.

Salut, de la part des habitants de Constantine en général et de ceux que représente le rédacteur du présent article, en particulier.

Fait à Constantine à la date du 09 décembre 1877
Signé : Mohamed Ben El Hadj Hossin El Amouchi
Pour traduction conforme:
Constantine le 13 décembre 1877
L'interprète traducteur assermenté
Lirou

ملحق رقم 5

هذا الملحق عبارة عن مقال حول الكتيّب ««إرشاد المتعلّمين» ، صدر في جريدة «المبشّر» 12 ديسمبر 1877 م باللغة العربيّة . هذا نصّه:

كتاب مفيد

قد اطّلعنا على رسالة بالعربيّة ألّفها الفاضل السّيّد عبد القادر بن عبد الله المجّاوي القاطن بقسنطينة وسمّاها بـ «ارشاد المتعلّمين» وتكلّف لطبعها المطبعة الوهابية بالقاهرة المحميّة وهي مشتملة على نصائح وتحريض وتنديد وتعريض بمسلمي الولايات الجزائريّة كي يستيقظوا من سنتهم وينتبهوا من غفلتهم و يقْبلوا على الأخذ في التّعلّم حتى يلتحقوا بغيرهم. والباعث له على انشائها هوّ أنّ هذا العالِم النّصوح قد تحقّق له فيما حوله من المواطن عدم السّعي في ازدياد العلوم وانّما شأنهم الاقتصار على حدود العلم المعلوم، ولإزالة هذا الكساد الفادح وإنقاذ إخوانه من الجهل الفاضح، طفق يلوم أبناء جنسه ويوبّخهم ببديع نثره ومن أوّل افتتاح كتابه، جعل يزجرهم بقضيب الأدب و يبيّن لهم ما يجب التّنافس فيه و ما هو أفضل مكتسب إلى أن قال أنّ الحيوان له إدراك و ليس معه نطق وأمّا الإنسان ، فقد رزقه الله العقل و خصّصه بالنّطق و لكن هته الخصلتان العزيزتان لا تظهر فائدتهما و تنتشر ثمرتهما الّا بالتّفنّن في العلوم. فعلى قدر ما يكتسب الإنسان من المعارف يعلو على الحيوانات ويتشرّف، ومتى قلّ تعلّمه و تعذّر فهمه إلتحق بالببّغاء وشبهه. فهذه النّبذة الأدبيّة، وإن كانت قصيرة في نفسها فهي تنبئ عن طول باع صاحبها وتجره في العلوم واعتنائه بها. وأمّا عبارتها من أوّلها إلى آخرها، فهي نافعة بإسرها، تبيّن لكلّ من عرف تقصير المسلمين

في التّعلّم، كمال فضل المؤلّف و اتّصافه بالعقل الفريد ، كما أنّها تدلّ على أهمّ من ذلك ، وهو وجود الصّلاحيّة في المسلمين المنكورة عنهم كم من مرّة . فإنّ اللبيب عبدالقادر بن عبدالله لم يكن في مخالطته إيانا ناظرا غير متبصّر وعاقلا غير مستنفع و متدبّر كما اتّفق لكثير من إخوانه المسلمين وأخيبتهم[165] على تفريطهم، بل من ذكائه أنّه قابل بين المسلم والإفرنجي من حيثيّة العلوم وترجّحت عنده أفضليّة النّصراني كما هو مشاهد ومعلوم. فتألّم من خذلان عصابته وساءه ما حاق بعشيرته لا سيما إذا عرف مسلمي مصر وآسية قد تناهوا في المعارف و تطلّعوا على الأسرار على أنّهم ليس من حيّزهم من الوسائل المحصلة للفنون في أقرب مدّة كمسلمي الجزائر، إذ هنا كثرت المدارس والمُدرّسون والأشياخ من أشهر العلماء فيها مرتّبون؛ وزد على ذلك شيئ آخر أكثر وأوفر ممّا هو بمصر وآسية وغيرهما، وهو أنّ مسلمي الجزائر حيث تيسّرت لهم المخالطة مع الإفرنج الماهرين، تَسهُل عليهم السّيرة في طريق الأعمال بإجراء القواعد الّتي اكتسبوها من المدارس وتطبيقها على الصّنائع الفلاحيّة والتّجاريّة حينا، من دون تحيّر ولا اضطراب ولا توقّف ولا ارتياب. فلا ريب إذا فيما لهذا الجهبذ المُتقن، العالم المتفنّن من كثرة الإطّلاع والحفظ وطول الباع والغيرة على تأخّر إخوانه أهل القطر الجزائري في العلوم لتقاعسهم عن التّعلّم عمدا حتى أنّهم عنّفهم ولامهم على ذلك ومدّ لهم في النّصيحة مدا، فبيّن لهم فوائد المعارف حق البيان، ووضح لهم سبل العلم على التّرقّي وما فيه من الأفنان بترتيب وتنظيم عجيب، يظنّ مشاهده أنّه من إنشاء أحد مديري الأقسام العلميّة لأحدى المدارس الفرنساوية بلا ريب. فابتدأ بالحثّ على تعلّم أصول الدّين، إذ هو الواجب الأوّل سواء لدى المسلمين أو المسيحيّين وحيث كان هذا العلم بانفراده لا يفي بالمقصود، ولا بدّ أنّ يكون لغيره من العلوم طريق

165- كما هي مكتوبة في الجريدة

مورود، إذ حياة الإنسان مؤسّسة على ركنين: أحدهما نقلى والآخر عقلى بلامين[166] ومعتمد ركنها عقلى هو علم الطّبيعة والكمياء و الطّب لا سيما ما يختص منه بصحّة الأبدان لأنّ بها يقوى الإنسان على أن يستجلب لنفسه من المواد الطّبيعيّة في كلّ آن . وكانت هذه العلوم لا تضرّ بالدّين بل تبدو منها جملة براهين قــاطعة تـدلّ على وجود ربّ العــالمين. فلا غرْو أنّ مسلمي القطر الجزائري يستمعون لهذا الإرشاد الّذي هو بمثابة نصح الـوالـد لما له من الأولاد الصّادر عن طَـويّة صَفـيّة بودّ و إخلاص نـيّـة. هذا و أنّا نومل العفــو والسّمـاح في التّـفوّه بما بدا للـرّأي ولاح، وهو أنّ المسلمين إذا كـــان لهم غـرض التّقـدّم في العلوم بسرعة فـليغيّـروا مناهجهم المعهـود في التّعـلّم ويسلكوا فيه طريق النّصارى الخـالية من التّشعـيب ، فإذا فعلوا ذلك يصير الطّالب منهم الّذي يمكث مَثلا في زاوية من 10 أعوام إلى 15 في تعلُّم نصيب من النّحو، يستوعب جميعه في سنتين مع قلّة التّعب والمشاق ويؤيد هذا ما هو جار في أغلب المدارس المصريّة والشّامية وغيرها من مدارس المتمدّنين إذ أنّهم أعرضوا في التّعلّم عن المنصفات المعهودة عند المسلمين وصاروا يدرّسون النّحو وما أشبه على نهج الاوربــاويّيــن .

ولا يخفى أن المسلمين قد انتبهوا منذ سنين الى أنّه يلزمهم للوصول إلى درجة الإفرنج في بثّ التّمدّن وبعض التّقدّمات، أن يحيدوا عن طريقهم القديمة وعوائدهم السّالفة، ويجعلوها في ناحية، ويتبعوا غيرها، فتصدى لذلك علماء المشرق وشمّروا عن ساق الجدّ، وضربوا فيها خطوات عظيمة للبلوغ إلى هذا المقصد، ولم يتوقـفوا عن تعريب كتبـنا العلميّة المعتبرة وبيّنوا بذلك أنّ اللغة العربيّة متى سابرها عالم تحرير، يحلّ عويصها ويسَـهّـل صعوبتها فتجود وتلين وتشتقّ منها أسماء مطــابقة لجميع الاصطلاحات العلميّة الحادثة[167]. وبـسـبــب اجتهــادهم أحْيـيت هــذه اللغة بعـد أن

166- الكلمة كما هي مكتوبة في نصّ الجريدة
167- و لعلّ الصّواب هو «حديثة»

كـانت ميّتة وعادت كما كانت في عهد الخلفاء السّـــالفيـــن . فـــانظـــر إلى اعتنـــاء المسلميـــن في أيّـــامهم بتـتـبّع علم اليونـــان ومحاداتهم إيّاه مع تنقيحه وتحسينه. ولا تغفل عن عملهم بحكم فيتـــاقـــورس وأخـــذهم بطبّ بُقـــراط وجـــاليـنـوس، وكيفيّة ترقّيهم في علم النّجوم. فـإنّ مراسم تـلك التّحسينات لا زالت بـــاقيـــة وآثارها مشاهدة مرئية. هلمّ بنا يا أيّها المسلمون، أهْـل إقليم الجزائر نجتهد في التّقدّم لنلحق إخواننا الشرقيّين ولا نبقى في آخر الأواخر ونتعاون على توسيع دائرة الآداب و العلوم .

إنتهى.

ملحق رقم 6

مقتطفات من كتاب الباحث الأمريكي ألان كريستلو: «بركة و بيروقراطية، القضاة الجزائريون المسلمون والدّولة الاستعمارية. (1854 م – 1892 م)»

Baraka and bureaucracy,
Algerian Muslim Judges and the Colonial State
(1854 – 1892),
By Allan Christelow, 1977
University of Michigan

P 436

By naming Mejjawi to the medersa, the French brought him under closer control, and may have been trying to improve the medersa'a image in the eye of the muslim public.

Vol. II, P 437

While his nomination was being considered, in late 1877, Majjawi had a panphlet published in Cairo, which stands as the first significant expression of islamic modernism in Algeria. It is also a poignant expression of the dilemmas of Algerian cultural and intellectual life under colonial rule.

... First, it described the intellectual and cultural inferiority of Algeria vis a vis both Europe and the middle east. Second, it proposed as a remedy, an educational curriculum, based on modern teaching methods already in use in Egypt, which concentrated on

both religion and science. Mejjawi proclaimed that science was not in any way, a threat to religion, but rather could complement it...

P 439

What is central to this entire strange episode is That Majjawi's pamphlet stirred considerable emotion in Constantine. The explanation, I think, is that he had put his finger on a concern deeply felt by the Algerian Muslim. It involved at once a sort of cultural inferiority complex, and a fear of "déculturation". The pamphlet should be seen as marking the opening of the "local Islah" of the constantinois, an event of prime importance for Algerian intellectual history.

ملحق رقم 7

أهمّ مؤلّفات الإمام عبدالقادر المجّاوي

لا نعرف بالضّبط كم من كتاب ألّف الشّيخ عبد القادر المجّاوي. فمنتوجه الفكري كان فيّاض. وممّا يضيف إلى أهمّيّة ما ألّفه ، هي تلك الظّروف التّاريخيّة الخاصّة الّتي عاش فيها و الّتي كانت مشحونة بالرّقابة والحراسة من طرف مصالح الاستعمار. ففي بعض الحالات، كان الشّيخ المجّاوي يُرسل مخطوطاته إلى بلدان أخرى كمصر و تونس، لكي تطبع.

فهل طُبعت كل المخطوطات المُرسَلة ؟

لا ندري.

أمّا الكتب الّتي عثرنا عليها ، فعددها **خمسة عشر.**
لدينا في حيّزنا عنوانين من الطّبعة الأصلية، وهما:

- **الدّرر النّحوية على المنظومة الشّبراوية**، طبع حجري ، غلافه أزرق فاتح، طُبع سنة 1298 ه – 1881 م بمطبعة بومون ، قسنطينة.

- **شرح اللّامية المجرادية في المسايل النّحوية**، غلافه أزرق فاتح ، طُبع سنة 1894 م بمطبعة فونطانا، الجزائر

أمّا الكتب الأخرى فكلّها على شكل نسخ مصوّرة من الطّبعات الأصليّة، ما عدا كتاب «اللمع في نظم البدع» الّذي كان موجودا في المكتبة الوطني بالجزائر لكن لن نتمكّن من إيجاده في الخزانة، فتوجّهنا إلى التّحقيق الّذي قام به الباحث عبدالرّحمان الدّويب، سنة 2011 م، في إطار برنامج وزارة

الثّقــافــة لإعادة طبع جملة من الكتب المفقودة ضمن التّظاهرة «تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية»[168] .

فتآليف الشّيخ المجّــاوي ناتجة عن تجارب وملاحظات ميدانيّة قام بها المدرّس، الفقيه، العالِم، القاضي، الإمام، المواطن انديجان، جعلته يشعر بالحاجة والواجب بأن يأتي بمساهمته الفكريّة والعلميّة من خلال دواويــن ومؤلّفــات. غيــر أنّ الوضع الاستعمــاري السّــائد آنــذاك كان يحدّ من مجال تآليفه والمواضيع الّتي كان يتطرّق إليها كانت تتمـاشى مع ما كان الحكّام الفرنسيّين يتـقبّـلونه من قبل العلمـاء «الأنديجان المسلمين». فكانت المؤلّفات تُراقَب من طرف مترجمين فرنسيّين قبل النّشر، وكان من جهته يناور ويتحايل مع هذا الوضع للتّعبير عن أفكــاره بغرض إيقــاظ إخوانه المسلمين الجزائريّين من السّبات الّذي غمرهم منذ سنين . مع هذا، فكان في بعض الأحيان، وبعد طبع بعض الكتب، يواجه حملات من العنف والتّهديد وبعض الإجراءات الـزّاجــرة من طرف أذنــاب الإدارة الفرنسيّــة الاستعمــاريّــة. لكنّه كان يصمد ويواصل مهمّته النّبيلة، مهمّة الإمام، مهمّة العالِم المصلح الّذي لا يتــوقّف، مهمــا كــانت الأمــور، من العمل لصــالح طلّابــه ومجتمعــه ولتبليغ أفكــاره النّبيلــة النّيّــرة .

تبدأ كل هـذه المؤلّفات للشّيخ عبـدالقادر المجّـاوي بالبسملة ثمّ بتقــديم المؤلّف. بعد ذلك، يأتي موضوع الكتاب وأحيانا، الظّروف الأتي جعلت المـؤلّـف يقوم بهذا العمل. بعد ذلك، يأتي تقسيم الكتاب إلى أجزاء أو فقرات. في الصّفحة الأخيرة، يأتي المؤلّف بالحمدلة وتاريخ الفراغ من الكتابة .

فهذه هي العناوين الّتي في حيّـزنا مع المواضيع المعالجة، وقد قمنا في أغلب الأحيان بالتنقيط وكذا التّـشكيل حتى تسهل قراءة الفقرات الّتي استخرجناها من الصّفحات الأولى للتّعريف عن الكتب المذكورة :

168- حيث أعيد طبع مُعظم كتب الشّيخ المجّاوي على عاتق وزارة الثّقافة .

مختصر في المنطق، مخطوط ، 1874 م

قد طلب مني بعض تلامذتنا المجتهدين أن أكتب فريدة مبنيّة على القضايا وأحكامها على سبيل الاختصار من غير إطناب ولا حشو ولا إكثار °° فأجبته بعد سؤاله لي المرّة بعد المرّة °° فلمّا ظهر لي صدق طلبه °° بادرت إلى تحصيل مرغوبه °° على قدر البضاعة °° وجوار الصّناعة °° طالبا الإعانة من الرّحيم الرّحمان °° وأن يجعله سبيل العبور والغفران °° بجاه خاتم الرّسل أجمعين °° إنّه أكرم الأكرمين °°.

مختصر في النّحو، مخطوط، 1875 م

(فهذا المخطوط طُبع مرّة أولى سنة 1881 م بدار النّشر بومون (قسنطينة) ومرّة ثانية سنة 1907)

هذه كلمــات قليلة °° محتوية على فوائد جليلة °° لمنظومــة العلاّمة الكــامل°°الشّيخ الشّبــراوي صاحب الفضائل °° قصدت بها نفع العبــاد °° لتكون لهم سبيلا إلى الرّشــاد °° جعلهــا الله سببا لنيل المقصود °° إنّه هو الكريم الجــواد الودود .

شرح منظومة ابن غازي في المسائل النّجومية، دار النّشر بومون، 1875 م

....فيقول العبد الفاني ، عبدالقــادر المجّاوي الحسني ، انّه قد ظهر لي أن أشــرح هــذه المنظومــة المختصرة المحتويــة على معرفــة دخــول المنــازل و الأبــراج الفلكيّــة لنــاظمها العلاّمة ابن غازي قدس سرّه ، قاصدا بذلك نفع العباد ، و الله الموفّق لما فيه الصّلاح و السّداد. (ص1)

شرح منظومة الشّيخ محمد المجراد السّلاوي، الإمام الكامل، دار النّشر أرنُلي، 1876 م

و بعد، هذا شرح وجيز مختصر °° على منظومة الشّيخ أبي عبد الله محمّد ابن محمّد المجراد السّلاوي الإمام الكامل الأبر °° فاقتصرت فيه على حل

ألفاظ النّظم و الإعراب °° طالبا من الله مزيد الأجر و الثّواب °° و الله أسأل أن ينفع به من قرأه °° إنّه وليّ التّقوى و المغفره .»

كشف اللّثام على شواهد ابن هشام ، طبع حجري 1295 هـ، 1878م

.... قد سألني بعض الفضلاء المجتهدين في أن أضع شرحا مختصرا على شـواهـد قطر منـذر نـافعـا للمبتدئين °° فأجبته بعد الإلحـاح °° فذلك و إن كنت لستُ أهلا لِأن أسلك تلك المسالك لقصور همّتي °°و جمود قريحتي °° لكن حملني على ذلك التشبّه بأهل الفضل و الصّلاح °° إنّما التّشبّه بأهل الخير فيه نجاح °° و سمّيته بكشف اللثام عن شواهد قطر ابن هشام °° نسأل الله أن يجعله خالصا لوجه الكريم °° و أن ينفع به الطّلّاب النّفع العميم °° فإنّا لم نرد به إلّا إفادة الطّلبة من غير تعرّض إلى دعوى أو امتياز من بينهم..

مواهب الكبير المعتال ، طبع حجري، 1884 م

قد أمرني شيخ أهل الوقت والطّريقة ومعرف السر إلى الله والحقيقة سيّدي محمود بن سيّدي الحاج محمّد إبن سيّدي محمود بن القطب الأكمل نبراس العارفين سيدي عبد الرّحمان باش تارزي أن أضع شرحا مختصرا على قصيدة الشّيخ الفاضل العالم العامل سيّدي مصطفى بن عبد الرّحمان باش تارزي، قدّس الله سره فأجبته لما طلب وإن كنت لست من أهل هذا الشّأن ....

شرح منظومة الإمام المنزلي في آداب المريدين ، المطبعة الرّسمية ، تونس، 1896 م

... هذا شرح فيه قصور و اختصار °° لعدم التمكّن من علوم تهذب النّفوس وتسوس الأفكار °° ولكن الثّقة باللّطيف الخبير °° أن يجعله وصلة المريد البصير °° و يتّسق سلك عقد الرّجال °° على قصيدة الإمام العلّامة الهمام °° العابد النّاسك المتبرّك به بين الأنام °° سيدي محمّد الإمام المنزلي قدوة أهل الطّريق °° ذي العلوم و المعارف و التّحقيق °° في آداب المريدين

°° وتهذيب أخلاق المحبين °° وجعلها خارجة عن قانون النّظم الموزون °° إلى ما جرى به العرف من الشّعر الملحون °° قصد بذلك نفع المبتدئين °° وسداد خلل المريدين °° فالله يكمل لنا المقصود °° بجاه من منح المقام المحمود °° ...

كتاب الإفادة لمن يطلب الاستفادة، دار النّشر زميط ، الجزائر، 1901 م

... وبعد ، فإنّه لمّا برز لنا الإذن بالامتحان و تعيّن اختبار الطّلبة ، جماعة من الأعيان عنّ لي أن أجمع مسائل فقهية ووثائق عرفية وبعض جمل منطقية ونحويّة فبادرت بعد الاستخارة إلى جمع ما أردت على الوجه الّذي بينت فأقول وبالله أستعين.

الدّرر البهيّة على الّلامية المجراد ية في الجمل، نسخة مصوّرة لمخطوط، 1320هـ ، 1903 م.

... أنّه لمّا كانت المنظومة اللّامية المجراديّة في علم الجمل للأستاذ ابي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري الشّهير بابن المجراد السّلّاوي، اعتنى بشرحها كثير من أهل العلم، فمنهم من أطنب إطنابا مملّا و منهم من اختصر اختصارا مخلّا، أردت أن أتوسّط بين الأمرين....

الفريدة السّنيّة في الأعمال الجيبيّة، دار النّشر فونطانا، الجزائر، 1903م

... وبعد، فهذه رسالة صغيرة الحجم°° وعجالة مختصرة كثيرة العلم°° في كيفية العمل بالرّبع المجيب في الأوقات°° مشتملة على مقدّمة وعشرين بابا وخاتمة فيما يتعلّق بالتّعديل والميقات ، طالبا من تعالى أن يجعلها لما ارتكبته من ذنوب حاسمة، بجاه من هو بجميع الأنبياء والرّسل خاتمة و سمّيتها...

المرصاد في مسائل الاقتصاد[169]، دار النّشر فونطانا، الجزائر، 1904 م

...و بعد، فإنه لمّا دلت الآيات القرآنية °° والأحاديث الشّريفة النّبويّة °° على أنّ الله خلق هذا العالم للعماره °° وهي تتوقّف على تنظيمات اقتصاديّة

169- هذا الكتاب هو تأليف مشترك بين العالمين عمر بريهمات و عبد القادر المجّاوي

وافرة °° و قوانين يصار اليها في المعيشة الدّنيويّة °° و كان هذا العلم مفرّقا في بطون الكتب و الدّواوين السّامية °° فصعب لأجل ذلك الاطّلاع على قواعده °° و اقتطاف أزهاره و فوائده °° ظهر لنا أن نجمع تلك القواعد °° لتكون بكل خير عوائد °° فشرعنا في ذلك بعد الاستخارة °° و تكرّر الإشارة °° فاشرح الصّدر لذلك °° و إن كُنّا لسنا أهلا لنسلك تلك المسالك......

تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب و الاختيار، دار النّشر فونطانا، الجزائر، 1906 م

... وبعـد ، لمّا افترقت الأمّة فرقـا ثلاثـا : أهل السّنّة و قدريّة وجبريّة، وكل فرقة تشنع على مقابلتها °° وتروم ردها إلى طريقتها واختلفت آراء أهل السّنّة في معنى الكسب وتنازعوا فيما بينهم بالإيجاب و السّلب، ظهر لي أن أجمع جميع هـذه الأقـوال °° ليـزول بحولـه تعـالى التّـلبيـس والإشمال في رسالة محتوية على مقدّمة و ستّة فصول وخاتمة °° طالبا منه تعالى أن يجعل منفعتها دائمة ...

نزهة الطّرف فيما يتعلّق بمعاني الصّرف، دار النّشر فونطانا، الجزائر، 1907 م

.... وبعد، فهذا شرح لطيف مختصر على متن البنا في الصّرف °° أسكن الله مؤلّفه من الجنّة أعلى الغرف

القواعد الكلامية، دار النشر فونطانا، الجزائر، 1910 م

.... و بعد ، فقد مسّت الحاجة إلى تأليف رسالة في علم التّوحيد تكون سهلة المأخذ، قليلة الكلفة يستعذب موردها القاصر والكليل °° ويقتبس من مشكاتها المتحيّر في تصحيح عقيدته بالدّليل °° ولمّا قوي الرّجاء، انعقدت النّية على ذلك وصرفت العزيمة هناك، فجاءت بحمد الله على صغر حجمها، كبيرة المسائل، متنوّعة المسالك، شاملة لغالب العقائد وما يتعلّق بالمولى تبارك وتعالى ورسله صلوات الله عليهم، من الواجبات والجائزات والمستحيلات مع

البساطة في التّعبير و السّلاسة في التّحرير، كي يستغني بها التلميذ عن كبار الدّواوين °° و يتخرّج من ربقة التّقــليــد إلى ســاحة اليقيــن °° عــارفــا بزبــدة الفنّ ومنــابعه °° خبيــرا بمسائله و قواطعه °° من غير خروج عمّا يقتضيه المقام من البيان °° أو الأخذ بالإفراط والتّفريط في هذا الشّأن ...

اللّمع في نظم البدع[170]، فونطاة ، الجزائر ، 1913 م .

... وبعد ، فإنّه لما انتشر بَحــر البَدع في الآفاق، ورمى بأمواج الباطل والزّخــارف بــاتّســاق، وتمكّن في قلوب كثير حبّ العادات المُهلكــة، والمخـــالفــات المــوبقــة، نهض بعض علمـــاء الـــوقت يَــنهــى، بالتّــآليف عن هذه المنكرات الّتي أفقرت مُرتكبيها، وأهلكت أكــابر مُجرميهـــا، فصـــاروا كلّا على العبـــاد، وأكثـــروا في اللأرض الفســـاد، مُبيّنـــا في تــآليفه ما عليه مخــالف السّنّــة من الــوزر، والبعض الآخر بالرّمسائـــل والشّعر، ومن هؤلاء العلّامة الجليل ، الشّريف الأصيل ، الشّيخ محمّد المولود، ابن العلّامة الشّيخ السّعيد ابن الموهوب، فإنّه نظّم قصيدة بديعة، مشتملة على فوائد جمّة ، ...

———————————

فهذه هي أهمّ مؤلّفات الشّيخ عبد القادر المجّــاوي، وزيادة على المُحتوى الّذي فيه ذخائر من العلم النّافع، نلاحظ أن المؤلّف ينتهز كل الفُرص ليُمتّع القارئ ببديع التّأليف وحسن الكتابة وقوّة التأثير، مُستعملا البُنية الشّعريّة بأوزانها وقواعدها، وكأنّها هديّة إضافيــة للقــارئ الّذي يريــد الإطّلاع على محتوى هذه الكتب النّفيسة .

170- اعتمدنا في عملنا على التّحقيق الّذي قام به الباحث ع. دويب لهذا الكتاب في المجموعة التي صدرت في إطار التّظاهرة « تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية « ، 2011 ، و الّتي عنوانها : «الشّيخ عبد القادر المجّاوي التّلمساني ، حياته و أعماله « . دار زمّورة للنّشر و التّوزيع ، الجزائر ، 2011 م.

ملحق رقم 8

حول وفـات الشّيخ الإمام
عبدالقـادر المجّـاوي الحسني

إثر وفاة الإمام عبدالقـادر المجّـاوي ، ظهرت في جريدة الفاروق مقالات حول السّاعات الأخيرة للفقيد و كذا ساعات أخذه إلى مثواه الأخير.

فاخترنا من هذه المقالات ما يعبّر عن أهم المشـاهد، وبالأخص ما يعبّرعن صدى هذا الحدث في قلوب بعض العلماء والطّلبة الجزائريّين. فاخترنا على الأخصّ خطبة الأستاذ عبد الحميد بن باديس[171] (وقد حثّنا العـالم الجزائـري محمّد صالح الصّديق على البحث عن نص هذه التّأبيـنية ونشكره على تشجيعاته) لِما تحمِله من إحساس وعمق في التّعبير عن:
- الحزن والأسى الّذي غمر أهل قسنطينة
- وكذلك عن وصف ما قدّمه الإمام الفقيد لإخوانه الجزائريّين المسلمين.

وهذه بعض النّصوص كما وردت في الجريدة .

جريدة «الفـاروق»،
رقم 81 ، الجمعة 09 أكتوبر 1914 م

وفـاته و مشهد جنـازتـه
***رحلته إلى قسنطينة**

في هذه الأيّام الأخيرة ظهر للأستاذ المرحوم أن يزور مدينة قسنطينة ليقضي بعض المثاوب و يزور الأحياء والأقارب . فلمّا حلّ بين أظهرنا، مكث ما يقرب من ستة أيّام ثمّ زار شاطودان[172] لزيارة بنته . و لمّا رجع

171- و قد أشار إليها العالم الأستاذ محمّد الصالح الصّديق في كتابه «أعلام الجزائر» عندما تطرّق إلى حياة الشّيخ المجّاوي
172- «شلغوم العيد» حاليا ، مدينة واقعة جنوب غرب قسنطينة على بعد 55 كم.

إلى قسنطينة، كان رحمه الله على غاية الصّحة لما للنّاس من الإطلاع عليه والإلتفاف حوله.

وفي يوم من الأيّام ، خرج و صحبته بعض الأفاضل إلى مقبرة قسنطينة فزارها وتعجّب من رونقها و قال : «ما أجمل هذه المقبرة ، تجلب لناظرها السّرور» ثمّ تفسّح بها مدّة و جلس بموضع كان موضع دفنه (سبحان الله). ولم يتعجّب من المقبرة أكثر من هته المرّة .
هذه نادرة من نوادره إن شاء الله .

*** وفـاتــه:**

وفي ليلة السّبت استضافه حضرة تلميذه الشّيخ المفتي سيدي محمّد المولود بن الموهوب فأجاب دعوته و حضرنا معه على المائدة فكانت مؤانسته لنا بليغة و كلامه كلّه حكم.

وبعد الفراغ، دعا الشيخ - رحمه الله - لربّ المكان وللحاضرين دعاء ان شاء الله مقبولا. ولما ودّعنا الأستاذ آنس الله روحه وتفرّق جَمعُنا، كانت السّاعة الثّامنة والنّصف ليلا ، فقصد مسجد سيدي عبد المؤمن لأداء فريضة العشاء وكان في انتظاره هناك بعض التّلامذة، مُجَدّدا معهم الجلوس إلى السّاعة الحادية عشرة. وإذ ذاك، جاءه صهره ليذهب معه إلى الدّار للنّوم فسار معه على حاله بسلامة. ولمّا وصل إلى الـدّار، كانت السّاعة 11و10 دقـائق، فدخل البيت وقال لصهره ومن معه « إنّ الضّيقة اشتدّ أَلَـمُها عليّ» ووضع يده على صدره وصار يكرّر الشّهادة ولفظة « يا لطيف» إلى السّـاعة 11 و20 دقيـقة وإذ ذاك فـاتت روحـه الطّـاهرة إلى أنّ صهـره مسكه يظنّه أنّه نائم رحمه الله .

هذه الحالة الّتي توفّى الله أستاذنا عبدالقـادر المجّـاوي، عليها وإنّها لحـالة الشّهـداء والصّـالحيـن، ومن أنـعم الله عليهم بـحسن الخـاتمـة وسكنى عليـان. وما أكثـر خبـر وفـاتـه حتى هرع النّاس من كل

حَدب ومن جميع أطراف المدينة إلى داره و الذّهول مستحوذ على أذهانهم. وما كاد الصّبح أن يطلع حتّى عمّ خبره المدينة و ضواحيها لما للشّيخ – فَرد الله ثراه - من المحبّة في قلوب النّاس جمْعا بِحَيْث أنّك لم تجد في ذلك اليوم واحدا من القلم مسرورا. فَظلّ القُرّاء يرتلون آيات القرآن الحكيم عليه و باتوا كذلك حتّى زوال يوم الأحد حيث حصل الاحتفال بمشهد الجنازة .

* مشهد جنازته

عند زوال يوم الأحد ، ابتدأ مشهد جنازة فقيد القطر و إمام الإسلام، فاجتمع القسنطينيّون و كلّهم في حزن و ذهول، و جاء النّاس أفواجا أفواجا من الضّواحي و ما ......[173] من المواطن، فكان المشهد عظيما، يحتوي على حوالي 7000 شخص (حتّى الصّبيان) و من كلّ جنس. فرُفِع نعْش الإمام رضي الله عنه على الكواهل و الأعناق إلى أن بلغ به الجمع الّذي كان يزخر كالبحر إلى المُصلّى و إذ ذاك ، تقدّم حضرة الفقيه العلاّمة الورع سيدي أحمد الحبيباتني، فصلّى عليه صلاة الجنازة و بعد الفراغ من تأدية اللوازم الدّينية ، قام أمام النّعش العلاّمة صاحب الفضيلة و السّماحة الأستاذ محمد المولود بن الموهوب، مُفتي السّادة المالكية بقسنطينة، فخطب خطبة مؤثّرة في النّفوس حتى أنّ السّامعين لم يتمالكوا أنفسهم عن البكاء، و في أثنائها فاضت عيناه بالدّموع. و كيف لا وهو وليّ نعمته و أستاذه .

ثمّ قام بعده العلاّمة الجليل الأستاذ عبد الحميد بن باديس، مُدرّس جامع سيدي الاخضر وألْقى خطبةً كان لها وقع شديدًا في القلوب (ونصّها في غير هذا المكان أيضا) ثمّ خطب حضرة السّيّد الأديب الفاضل السّيّد محمّد النّجّار بن الحاج الطّاهر بالنّيابة عن تلامذة فقيد العلم و الإسلام

173- لم نتمكّن من قراءة هذه الكلمة .

بخطبة جليلة و بها كان الوداع الأخير. .....[174] ووري الفقيدَ التّرابُ وسط خشوع الحاضرين و خضوعهم وتلاوة آي الكتاب الحكيم. فرحم الله فقيدنا، فقيد الجزائر وقسنطينة والعلم و الإسلام، رحمة واسعة وألهمنا وأهله و نجله وجميع تلامذته صبرا جميلا على فقده.

آمين.

174- نفس الملاحظة .

الخاتمة

وأخيرا، ظهر لنا أنّ أحسن ما نختم به هذا العمل المتواضع، وأحسن تعبير عمّا وصل إليه الفكر المجّــاوي بعد أربعين سنة من الصّمود الفكري والجهاد الإصلاحي هو بريشة الأستــاذ عبد الحميد بن بــاديس، أسكنه الله فسيح جنانه، وهو نصّ تــأبيني غنيّ بالمعــاني الصّــائبة، ألقــاه إثر تشيــيع جنــازة الشّيخ المجّــاوي في المقبرة المركزيّة بقسنطينة، يوم 27 سبتمبر 1914 م، حيث توفّى الشّيخ عبــدالقــادر بن عبــدالله بن محمّــد بن عبــدالكــريم المجّــاوي الجليــلي الحســني في سهــرة يــوم 26 ســبتمبــر 1914 م أي ما يناسب يوم السّبت 06 ذو القعدة 1332 هـ.

وهذا هو النّص كما هو موجود في الجريدة، ما عدى بعض الكلمات الّتي لم نتمكّن من قراءتها :

خطبة الأستاذ عبد الحميد بن باديس[175]:

أمّا بعد،
فإنّ أحلّ الخطوب وقعا و أعظمها رقعا وأشدّها للنّفوس صدعا، ذهاب العلماء الّذين هم سرّ الحياة و كير الوجود .

فكم بذهابهم انجلت للمجد عرى، وكم بفقدهم انحطّت لنا من قمّة العزّ إلى حضيض الثّرى .

وقد أصابنا ما أصاب الأمم في علمائها، و فيها نحن منقصفوا الظّهور تحت كلكل هذا الرّزء الثّقيل .

175- نرجو ان نكون قد أوفينا في نقل هذه القصيدة القيمة رغم رداءة الصّورة الّتي اطلعنا عليها في ميكروفيلم موجود بالمكتبة الوطنية بالحامة ـ الجزائر .

نمنمنا الجليل و كيف لا تنفطر الأفئدة من هول هذا المصاب ، وقد (....)[176] به عرش الفضل وأهل منّا بدر الكمال .

أم كيف لا تنذهل العقول وقد غار بحر العلوم الّذي طلّ علينا بكؤوس العرفان .

أم كيف لا تنخرس الألْسُن وقد فاد مَن كان يقومها بدقيق البلاغة والبيان .

فرحمـاك الله ، ما أوجع هذا الموقف المؤسف الّذي نرى فيه هذا الإمام مسمى على وشك الارتحال .

واسفاه عليك أيّها الإمام الّذي ببزوغ شمسه تمزّقت سحب الجهل وبنت غرّة القلم للعين .

أنت الّذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة .

أنت الّذي كما كنت مورد المتعطّشين ومصدر الكاملين، كنت مثالا لحسن الأخلاق و كرم الطّبع و لباب الفضيلة .

أنت الّذي تعـامد حِلمك و عِلمك فأصعدا بالنّـاس في معـاريـج الكمـال وأوْرثاهما المآثر الجليلة .

فلا بدع أن تطول عليك حسرتنا وتصعد فيك زَفَراتنا وتراق على جدثك المنعم عبراتنا.

نُبكيك بالدّموع السّخينة ويَبكيك القرطاس والقلم .

نُبكيك وتُبكيك المنابر ودروس العلم والحكم .

نَبكيك و يبكيك هذا القطر الحزين الّذي غمَرته ببيض أياديك وغُرر فضائلك الحُسّان .

176- كلمة لم نتمكّن من قراءتها في النّص الأصلي .

وقد حان أن أودّعك، (وعزيز عَليّ وداعك). وداعا بعقبة اللقاء إن شاء الله تعالى في مقام الرّضوان .

ارجع إلى ربّك راضيا مُرضيًا ، مُثنيًا عليك بكلّ لسان ، فهنيئا لك الفوز بالخلد في أرقى فراديس الجنان .

وهذه آخر كلمة أعرب بها عمّا يكنّه الصّدر من لواعج الأحزان :

ألا أنّ هـذا الدّهر ذو فتكات — وأنّ لنا في طيّه لعطات
له ولع بكلّ علو ......[177] — وتحويل ....
له .... في النّفوس فلو رمى — بها الرّاسيات صرن منخفضات
وكم قد رمانا فاصطبرنا لرميه — إلى أن رمانا بأعظم النّكبات
رمانا بفقد الهاشمي عبد القادر — فنحن لذى في حيرة و صُمات
مصاب جليل الوقع قد مزّق الحشا — وفتت أكباد بدون آنات
فيا لك من خطْب تعاظم وقعه — فلا رغبة من بعده في حياة
وما لذّة الدّنيا إذا لم يكن بها — إمام هدى مستمسك بهداة
وكيف يطيب العيش بعد إمامنا — ومنقذنا من لُجّة الغَمَرات
وفاتح هذا القطر بعد انغلاقه — براجح معقول ونقل ثقاة
اهلم به دهرا تضيئ شموسه — عليه فأحيا دارس البركات
وقام به للعلم سوق تواردت — عليه وفود من جميع جهات
فأنهلهم وعلّهم بشرابه — فاروا اهم بالعلم في سنوات
وزوّدهم سرّا ونورا رواهما — عن أشياخه في صالح الدّعوات
فعادوا وكلّ صار نجما فأفقه — به يهتدى في حالك الظلمات
فأزهر هذا القطر بعد ذبوله — وأصبح منهم عامر العرصات
فهذا الذي نبكيه للعلم والحجى — بجفن قريح هاتن العبرات
وهذا الذي اليوم انطوت بذهابه — علوم الهدي وأذنت بوفات

177- كل مجموعة من النّقاط تناسب كلمة لم نتمكّن من قراءتها .

فمن لعويصات المسائل بعدكم ... إذا ما بدت في الدّرس مضطربات
ومن لمجالس العلوم يزيّنها ... بغَزْوٍ تنكيت و نقد رواة
ومن لطائف البيان ووصفها ... وإلقائها في الدّرس منتظمات
وَمَن لي بأن أحصي مزاياك كلّها ... وأنت الخِضمّ الواسع الجنبات
ولكنّني أطفأت بعض حرارتي ... وَأفصحت عن حزني ببعض شكاتي
سأبكيك ما أبقى لي الله مقلة ... وإلّا فقلبي دائم الحسرات
سقى الله مجدا عمّ طودك وابلا ... وصبّ عليك هاطل الرّحمات
عليك تحيّة من الله سرْمَدا ... معطّرة بأطيب النّفحات
كذاك سلام طيّب متواتر ... من الله في الروحات والغدوات.

المراجع

1 - أبو عمران و فريق من الأساتذة: «معجم مشاهير المغاربة»، منشورات دحلب، الجزائر، 2000

2 - الحفناوي محمّد أبو القاسم: « تعريف الخلف برجال السّلف». موفم للنّشر، الجزائر، 1991م ، الجزء 2.

3 - الزّرنوخي ب.: «تعليم المُتعلّم طريق التّعلّم».
http://www.calameo.com/read/000131910aac795d36966
فيفري 2013

4 - الصّدّيق م. ص. : «أعلام المغرب العربي» ،

5 - بن الخوجة الكمال م.: « تنوير الأذهان في الحثّ على التّحرز وحفظ الأبدان» فونطانا ، الجزائر ، 1896

6 - بن حبيلس ش: «الجزائر الفرنسية في نظر أنديجان»، دار النشر فونطانا، الجزائر، 1914 م

7 - بن قينة ع.: « شخصيذات جزائرية» ، دار البعث، الجزائر، 1983

8 - بن نبي م.: « الصّراع الفكري في البلاد المستعمرة»، دار الفكر، دمشق، 2006 م

9 - بوكوشة ح. : « شيخ الجماعة عبدالقادر المجّاوي» ، مجلّة الثّـــقـافـة، رقم 10، 1972 ، ص 14-7

10 - حشلاف ع. :«سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرّسول عليه الصّلاة والسّلام» . المطبعة التّونسية ، 1929 م .

11 - دبوز م. ع. : «نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة» ، المطبعة العربية ، غرداية ، 1971 ، ص 82 - 108.

12 - رصد الحنفي س. : « كنز الجوهر في تاريخ الأزهر». القاهرة، 1327 هـ .

13 - سعدالله أ. : « أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر»، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 م ، الجزء الأوّل.

14 - سعدالله أ. : « الحركة الوطنيّة الجزائرية»، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009 ، الجزء الرّابع

15 - شاربونو أ. : بوليبليون ، المجلّة البيبليوغرافية العالميّة ، 1881، http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k424304t.r=medjaoui.langFR جانفي 2013 م

16 - شغيب م. م. : « أمّ الحواضر في الماضي و الحاضر» مطبعة البعث، قسنطينة ، 1980 م.

17 - فيلالي ع. ، الهادي لعروق م. : « مدينة قسنطينة . دراسة التّطوّر التّاريخي و البيئة الطّبيعية» . دار البعث للنّشر، 1984 م.

18 - كحول ابن دالي م : « التّقويم الجزائري»، 1911 م.

19 - مخطوط رقم 660 ، موجود حاليا في مكتبة وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف بالجزائر.

20 - «حياة المقدّس أستاذ الجماعة»، «الفاروق»، عدد 80 ، 06 أكتوبر 1914 م.

21 - **وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف** . تلمسان عاصمة الثّقـافة الإسلاميّـة سنة 2011 م أعمال ملتقى وطني بتلمسان : «الشّيخ عبـدالقادر المجّاوي». دار الجائزة ، الجزائر 2012 م.

22 - **المجلّة الإفريقية**، جريدة أعمـال الجمعية التـاريخية الجزائرية ، 9/1862، الجزائر.

23 - **« كتاب مفيد»، «المبشّر»**، (بدون إمضاء) 12 ديسمبر 1877م .

24 - **« الخطب و المراثي»، «الفـاروق»**، رقم 81 ، الجمعة 09 أكتوبر 1914 م.

المراجع باللغة الفرنسيّـة

1- **Bachlard G.:** «La formation de l'esprit scientifique» ,lib. Philosophique Vrin J., Paris, 1965

2- **Bazin R :** « Charles de Foucauld, explorateur au Maroc, érmite au Sahara. » . Plon, Paris, 1921

3- **Christellow A. :** "Baraka and bureaucracy. Algerian muslim judges and the colonial state, (1854 – 1892) ", University of Michigan, 1977. USA

4- **De Slane W. (Le Baron) :** « Rapport adressé à Monsieur le Ministre de l'instruction publique, suivi de la liste des manuscrits arabes les plus importants de la bibliothèque d'Alger et de la bibliothèque de cid-Hammouda à Constantine », Impr. Dupont P., Paris, 1845

5- **Delassus A. :** « Métropoles et colonies, La conquête morale des indigènes », Librairie pour Tous, Alger, 1913

6- **Delfaissy :** « Colonisation de l'Algérie par le système du général Bugeaud », imp. De V. Aillaud, Paris, 1871

7- **Fanon F. :** « Les damnés de la terre », ENAG , Alger, 2011

8- **Fanon F. :** « Sociologie d'une révolution »

9- **Fourmestraux E . :** « L'instruction publique en Algérie (1830 – 1880), ed Challamel, Pari,s 1880

10- Lavigerie C. : « Lettre de Mgr l'archevèque d'Alger (Lavigerie) à monsieur le directeur de l'Oeuvre des écoles d'orient sur la mission d'Afrique et la création de villages d'arabes chrétiens en Algérie », éd. Œuvres des écoles d'Orient, Paris, 1876

11- Lecour grandmaison O : « Coloniser-exterminer, Sur la guerre et l'état colonial », éd Casbah, Alger, 2005

12- Lemonnier H. : « L'Algérie », éd. H.E. Martin, Paris, 1881

13- Leune J . : «Le miracle algérien», ed Berger_Devrault, 1930

14- Maillart C. : « L'Algérie dans la littérature française », L . A Ed. Champion , 1925

15- Mercier Lacombe M S/ la dir. : « Etat Actuel de l'Algérie, 1863», . Impr. Impériale, Paris

16- Nouschi A. : «Correspondance du Dr Vital avec I. Urbain (1845 – 1874), L'opinion et la vie publiques constantinoises sous le second empire et les débuts de la troisième république)». Imp Imbert, Alger, 1958.

17- Rousset C. : « La conquête de l'Algérie , 1841 -1857 » . Plon, Paris, 1889

18- Taillart C. : « L'Algérie dans la littérature française », L.A. Edouard Champion, Paris, 1925
http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&q=+slane Janvier 2013

19- Lacheraf M. : « L'Algérie , Nation et Société », éd Casbah, Alger, 2004

20 - « L'indépendant, échos de Constantine », (sans titre), 25 novembre 1877

21 - « L'indépendant, échos de Constantine », (sans titre) , 05 décembre 1877

22 - «L'Indépendant, echos de Constantine », (sans titre), 26 décembre 1877

23 - «Recueil général des lois et des arrêts en matière civile, criminelle, commerciale et de droit public ». J.B. Sirey, année 1884

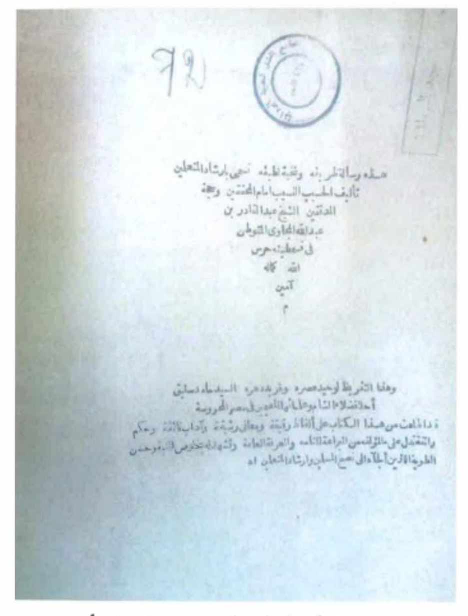
ملحق
خاص بالصور



الشّيخ عبدالقـادر المجّـاوي



أحد احفاذ الشّيخ المجّــاوي أمــام مدرسة تحمل اسمه
في حيّ الزّيتون بقسنطينة



72

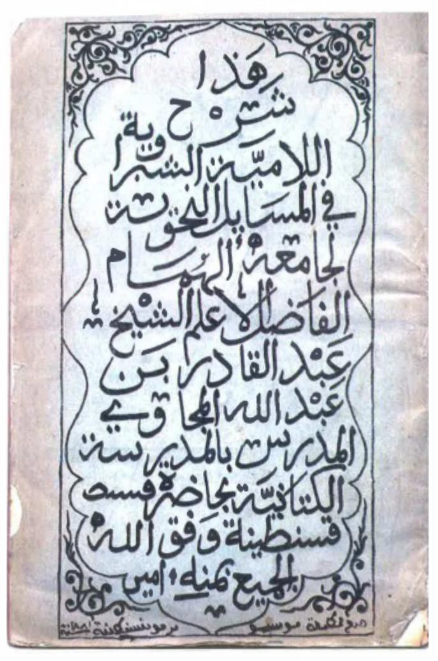
هذه رسالة لطريفة وتحفة لطيفة تسمى بإرشاد المتعلمين
تأليف الحبيب النسيب إمام المحققين وعمدة
المدققين الشيخ عبد القادر بن
عبد الله المجاوي المتوطن
في قسنطينة حرسها
الله كاله
آمين
م

وهذا التقريظ لوحيد عصره وفريد دهره السيد حماده سليق
أحد فضلاء الشاميين علماء الأزهر في مصر المحروسة
قد اطلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رقيقة ومعاني رشيقة وآداب فائقة وحكم
واستدل على ما تضمن من البراعة التامة والمعرفة العامة والشهادة بخلوص النية وحسن
الطوية التي ألجأته إلى نصح المسلمين وإرشاد المتعلمين اهـ

صورة لغلاف النّسخة الأصليّة لكتاب « إرشاد المتعلّمين».

(٤)

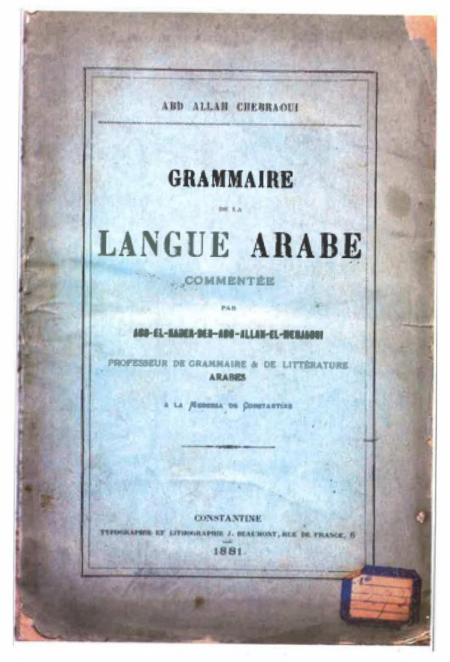
صورة للصَفحة الرّابعة من النَسخة الأصليّة للكتاب «إرشاد المتعلّمين».



هذا
شرح
اللامية الشبراوية
في المسائل النحوية
لجامعه الهمام
الفاضل الاعلم الشيخ
عبد القادر بن
عبد الله المجاوي
المدرس بالمدرسة
الكتانية بحاضرة قسنطينة
وفق الله
الجميع بمنه امين

صورة للوجه الأوّل لغلاف كتاب «شرح اللامية الشّبراوية ...»

للشّيخ المجّاوي



صورة للوجه الرّابع لغلاف كتاب «شرح اللامية الشّبراوية ...»



صورة لقبر المرحوم الشّيخ عبد القادرالمجّـاوي

في المقبرة المركزيّة بقسنطينة (قبل ترميمه سنة 2011 م).

فهرس الكتاب

صدر" إرشاد المتعلّمين" للعالم الجزائري عبد القادر بن عبدالله المجّاوي سنة 1877م بالقاهرة، نفس السّنة الّتي تحصّل فيها الشّيخ محمّد عبده على إجازته .

يمكن اعتبار هذا الكتاب كتقويم لقرابة خمسين سنة من السّياسة الفرنسيّة التّجهيليّة والتّدميرية على الجزائريين . فهو صرخة فكرية قويّة ضد مخلّفات الإستعمار، هدفها حثّ الجزائريين على الحفاظ على إسلامهم الأصيل و التّفتّح على العلوم الحديثة قصد النّهوض من التّخذير الذي وقع عليهم .

خلّف ظهور " إرشاد المتعلّمين " ضجّة في الأوساط القسنطينيّة حيث رأى فيه البعض تنديدا خطيرا بحقيقة الإستعمار وبشاعة أمره الواقع. فاغتنم مؤلّفه فرصة ردّ الفعل لبعض أذناب الإستعمار، وقذف الحدث في السّاحة العمومية باستعماله الصّحافة والرّأي العام رغم التهديدات .

فيقول الإمام عبدالحميد بن باديس يرثي الشّيخ المجّاوي : " ... واسفاه عليك أيها الإمام الّذي ببزوغ شمسه تمزّقت سحب الجهل وبنت غرّة القلم للعين. أنت الّذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة ...".

ويرى المؤرّخ الأمريكي "آلان كريستلو" هذه الحادثة كأوّل خطوة للحركة الإصلاحية الجزائريـة.

تعريف المؤلّفة:

سُومية أولمان، طبيبة وباحثة، من مواليد السّنوات الأولى للاستقلال، خرّيجة كلّية الطّبّ بالجزائر، أخصّائية في طب السّرطان وأمراض الثّدي. كما أنّ لها شهادة في علم الاجتماع وفي علم التّحليل النّفسي.

هي بنت فتيحة بنت عبدالله بن مصطفى بن عبد القادر المجّاوي الجليلي الحسني .

ألّفت عدّة مقالات طبيّة وصحفية. نالت جائزة في الشّعر (باللغة الفرنسية) إثر مسابقة وطنية لمؤسّسة فنون وثقافة لولاية الجزائر، سنة 2009 م وجائزة في الرّواية القصيرة سنة 2012 م مع نفس المؤسّسة .